مسرحية تاريخية

سور الشحر

تأليف : محمد عبد القادر بامطرف

المكلا ٢٦ يوليو ١٩٧٧م



تحقيق ونشر

الأستاذ : عبد الله صالح حداد

مسرحية تاريخية

سور الشحر

تأليف : محمد عبد القادر بامطرف

المكلا ٢٦ يوليو ١٩٧٧م

تحقيق ونشر

الأستاذ عبد اللّه صالح حداد

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت (٣١٠) ٢٠٢١م

الإخراج والطباعة

مكتبة المنار

الشحر ـ ت : ٣٣١٠٠٣

٢٠٢١م

مـدخـــل

هذه محاولة مني لتحقيق ونشر مسرحيتين كتبهما أستاذي محمد عبد القادر بامطرف، لكن قد يسأل أحد من الذين يتابعون ما أكتبه وأنشره من محاولات جادة عن السبب في اختياري هاتين المسرحيتين وانتقائهما من المسرحيات التي كتبها الأستاذ بامطرف، وكان الكتيب الذي أصدرته لجنة التأبين الأستاذ قد أشارت في صفحة (٣٣) من ذلك الكتيب جاء جواب منه: (عدد مسرحياتي إحدى عشر) وفي صفحة (٥) نشر عدد مسرحياته واقتصر على تسع منها، وتكرر ذكرها بترتيب مختلف، مما دعاني لأن أستعين بالأستاذ المؤرخ المسرحي محمد عوض باصالح الذي أضاف المسرحيات التي لم ترد ضمن تلك القوائم وهي:

١ـ مسرحية ليل بلا غد.

٢ـ مسرحية شرف العائلة.

٣ـ مسرحية المتسول الطروب.

أما ما جاء في القائمة فهي المسرحيات الآتية:

١ـ مسرحية الأحلام (بالشعر الشعبي).

٢ـ الشيخ الكبير.

٣ـ الموج وصخور الشاطئ.

٤ـ زهرة مزقتها العواصف.

٥ـ الميكرفون.

٦ـ نزهة العيد.

٧ـ سور الشحر.

٨ـ حرب الأرادي.

٩ـ ابن الصياد.

أقول لأولئك إني لما عزمت على نشر نصوص تلك المسرحيات التي كتبها أستاذي محمد لم أجد في مكتبتي المنزلية غير ثلاث أو أربع منها فقط، وهذه واحدة والثانية أني أهتم فيها أهتم به تاريخ مسقط رأسي مدينة الشحر، والمسرحيتان المختارتان تعنى بجانب من تاريخ هذه المدينة وثالثاً إن نصوص هاتين المسرحيتين لم تنشر إلا في نطاق ضيق، فقد طبعت كل واحدة منها على حدة بواسطة آلة النسخ الرونيو ووزعت على الممثلين فقط ونسخ أخريات قدمت لبعض المسئولين بالمدينة وهي على نطاق ضيق أيضاً، وعليه فالتوزيع لا يتجاوز ثلاثين نسخة، حصل كل

واحد على نسخة من كلا المسرحيتين ثم إن كل واحدة قدمت على مسارح المدينة والعاصمة المكلا وواحدة قدمت بعدن.

لقد استعنت بالله وأقدمت على نشر هذا العمل الذي أظنه حميداً، وذلك بعد أن حصلت على وعد في البحث عن بقية المسرحيات وفي ذلك أخذت الإذن منه على الاقتصار على تحقيق ونشر هاتين المسرحيتين فقط.

مسرحية سور الشحر :

هذه المسرحية الرائعة جداً قدمها الأستاذ محمد بعد أن أتم كتابتها في ٢٦/ ٧/ ١٩٧٧م إلى فرقة سمعون المسرحية التي قدمتها على خشبة المسرح بالشحر ثم بالمكلا في ٣٠/ ٧/ ١٩٧٧م بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال.

لقد أرسل الأستاذ محمد نص هذه المسرحية إلى الفرقة عن طريقي وقد دفعتها إلى مدير مكتب الثقافة الأستاذ عمر عبد الرحمن بازرقان رحمه الله وقد شرع الأستاذ عمر تواً في طباعة نص المسرحية على الآلة الكاتبة وأنجزها سريعاً ثم تم نسخ عدد منها على آلة السحب (الرونيو) وأعاد لي النسخة الأصلية وقد لاحظت بعض الأخطاء الطباعية سببها فيما أظن

صغر كتابة الأستاذ بامطرف والسرعة وضعف نظر الأستاذ عمر، وذلك بعد توزيع النسخ على الممثلين، ولما تم اختياري للإدارة المسرحية كان أول عمل هو استدعاء كل الممثلين وقراءة نص المسرحية من النسخة المخطوطة بيد مؤلفها الأستاذ بامطرف، ومن حسن الحظ أن أنسخ هذه المسرحية بقلمي مما أفادني اليوم في تحقيق النص، وهذا جعلني أقول إن مسرحية (سور الشحر) نشرت في شكل محقق من النسختين المطبوعة والمخطوطة إضافة إلى نص العرض المسرحي الذي قدم على مسرح الشحر مساء يوم ٣٠/١٠/١٩٧٧م بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال، من إخراج الأستاذ سالم أبو بكر باذيب المتوفي بالشحر في ٢٨/٤/٢٠٠٥م ومن مساعده في الإخراج الأستاذ سالم عبد الرب البكري وقام بتصميم الديكور وتنفيذه الأستاذ عبد القادر علي باشراحيل المتوفي بالشحر في ٣٠/١١/٢٠٠١م وكان المكياج من الأستاذ سالم أبو بكر باذيب وقمت بدور الإدارة المسرحية، واشترك في تمثيل الأدوار الرئيسية الإخوة الأساتذة:

- حسن أحمد العاكف في دور الجمعدار عوض بن عمر القعيطي.
- عبد الله سالم الحدادي في دور السلطان عبد الله عمر.
- عبد الله سالم الحدادي في دور التاجر المحلي.

- محمد سقاف الهدار في دور التاجر الهندي.
- عمر عبد الرحمن بازرقان في دور المقدم أحمد باحبارة.
- عمر عبد العزيز باعطوة في دور المقدم سالم علي بن هرهرة.
- سالم عبد الرب البكري في دور العجوز ودور الشاعر عمر بارمادة.
- والبقية في أدوار ثانوية.



من اليمين : محمد عبد القادر بامطرف ، عبد الله صالح حداد

مقدمة المؤلف

كتبت هذه المسرحية تجديداً لذكرى العمال الذين ماتوا خلال بناء سور مدينة الشحر وبناء حصن بن عياش، وخلال فترة النزاع بين الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وفصائل العمال بمدينة الشحر بين عام ١٢٨٤_١٣٠٥هـ (١٨٦٧_١٨٨٧م).

لقد مات عمال كثيرون في سبيل أن يحقق الجمعدار عوض حلمه في بناء سور حول مدينة الشحر يثبت قاعدة السلطنة القعيطية إلى الأبد وفي سبيل إنشاء حصن الرياض (يعرف الآن بحصن بن عياش) الذي أريد منه أن يكون مقر وسكن السلاطين المتعاقبين في الدولة القعيطية.

وتلاشت أحلام الجمعدار عوض، لقد أبادت ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة السلطنة القعيطية، كما أن السور العتيد تعرض لعوامل التهديم شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منه إلا بعض معالمه المتهالكة والتي تعكس صورة مشوهة لما كان لهذا السور التاريخي من شموخ وعظمة تدلان على ما كان يتمتع به العامل اليمني من تفنن في البناء، إن ما بقي من معالم سور مدينة الشحر يتراءى اليوم للناظر وكأنه قد عصفت به يد الزمن الهدام منذ

مئات السنين والواقع أنه لم تنقضِ على الفراغ من بنائه أكثر من مائة عام هجري ولكن عدم الصيانة والإهمال المتواصل قد أحالاه إلى مجرد بقايا متآكلة لا تمثل من قريب أو بعيد قوة صرحه ولا هول وقعه في النفوس ونحن قد عرفنا السور كامل البناء بحصونه وقلاعه الرهيبة وخاصة قلعتيه الحجريتين اللتين كانتا مشيدتين في عمق البحر على طرفيه الجنوبيين بما كانتا تحتويانه من مدافع مصوبة إلى كل اتجاه، كما عرفنا حصونه الأربعة والثلاثين التي كانت تحيط بمدينة الشحر إحاطة السوار بالمعصم التي كان يسكنها رجال أشداء من حاشية السلطان القعيطي.

والآن ونحن في عصر التحرر الوطني المهتم بشتى جوانب تراثنا المجيد يتحتم علينا الحفاظ على زوايا السور وما تبقى من حصونه سليماً إلى اليوم وخاصة حصون بوابتيه الشهيرتين الشمالية والغربية لتكون حافزاً للأجيال الحاضرة والقادمة على الاهتمام بدراسة جانب من تاريخنا الذي أهمل فترة طويلة من الزمن وما نقوله عن بقايا سور الشحر ينطبق على قلاع الأمن القائمة على طول الطريق المؤدية من الشحر إلى قرية الواسط، ومن الشحر إلى مدينة غيل باوزير، وإن وجود هذه القلاع العديدة لمؤشر ناطق بما كانت عليه حالتنا من اضطراب الأمن مقارنة بما نحن فيه اليوم من استتباب شامل للأمن والاستقرار والاطمئنان في كافة

ربوع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ناهيك بما ينبغي أن تتمتع به هذه القلاع وغيرها من حصوننا القديمة من جاذبية سياحية.

إن حوادث هذه المسرحية واقعية بقدر ما استطعنا التحقق من واقعيتها من عدد من الرواة الثقاة من أهالي الشحر ومن بعض الوثائق، بيد أننا في سبيل إنشاء هيكل المسرحية وتسلسل حوادثها وربط حوارها اضطررنا إلى ضغط الزمن في بعض الحالات، ولكننا لزمنا الدقة في إثبات الوقائع ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً وإن جميع شخصيات المسرحية حقيقية.

إن مادة المسرحية مقتبسة من البحث التاريخي العام الذي نقوم به فيما أهمله التاريخ من حوادث المحافظة الخامسة (محافظة حضرموت اليوم) المتعلقة بالدولتين القعيطية والكثيرية والذي سوف يشكل تتمة لكتابنا (في سبيل الحكم).

إن العمال الذين قتلوا في عملية بناء سور الشحر وحصن بن عياش كثيرون، ولقد استطعنا التعرف على بعضهم وهم:

١ـ عوض سالم باتُقى (ينطقه أهل الشحر باتكة) وهو نجار وزعيم عمالي مشهور وقد لعب دوراً بارزاً في حوادث المسرحية وقد اغتيل ووجدت جثته على ساحل البحر قرب المجرف.

٢ـ سالمين بن عبد الله قعنون.

٣ـ عبود عمر باللشرم.

٤ـ عيضة محمد مخروقة.

٥ـ سلمان صالح بامدحج.

هؤلاء ماتوا خلال بناء حصن بن عياش.

٦ـ سليمان بن خميس باعكابة.

٧ـ نصيب بصعر.

٨ـ سهل عمر القملة.

٩ـ عويض جمعان السوم (من أهالي قرية السوم).

١٠ـ مبروك سالمين الضان.

١١ـ فرج الله باجابر.

١٢ـ مبارك بن عقيل.

١٣ـ العبد ربيع باطحان (من أهالي قرية الواسط).

١٤ـ عبيد عوض دعسان.

١٥ـ مسلم مبارك كعويلة (من أهالي سيئون).

١٦ـ العبد مبيرك باصالح (من أهالي سيئون).

١٧ـ سالم رمضان باقنانة.

١٨ـ مرزوق عفيف.

١٩ـ مبارك بن ناشئ (من أهالي غيل باوزير).

هؤلاء قتلهم البدو أثناء نقلهم الطين من المسن الصغير بمنطقة مرير.

٢٠ـ عوض باعنتر (من أهالي قرية الواسط).

٢١ـ ربيع الغرب.

٢٢ـ حمود برد.

هؤلاء من عمال السور وقد نقلوا من الشحر للعمل في حصن القعيطي في شحير فقتلوا على أيدي آل كثير وحلفائهم العوالق.

٢٣ـ المعلم سالم عبد الله جروان من مقادمة عمال البناء وقد اغتيل لما كان له من نشاط عمالي وهو في طريقه من بيته إلى المسجد لأداء صلاة الفجر.

٢٤ـ عبود عويج.

٢٥ـ عوض سالم باحارثة.

٢٦ـ مسعود بابعير.

٢٧ـ سويلم محيور (من أهالي عينات)

وقتلهم البدو وهم ينقلون الطين من منطقة بن جوبان.

٢٨ـ عمر مفلح (من أهالي الديس الشرقية).

٢٩ـ عبد الله المسلّمي.

٣٠ـ سالم سعيد خُزمة.

٣١ـ عبد الله سواكن.

قتلهم البدو وهم ينقلون الماء من آبار سمعون.

٣٢ـ عبود بن دحمان.

٣٣ـ عبود الدفيقي.

٣٤ـ مبارك حمدون.

٣٥ـ عوض بن عبيدون (من أهالي دفيقة).

٣٦ـ سالمين بن سالم بن دهري.

هؤلاء أطفال ماتوا عندما انهار عليهم جرف الطين في حفر الطين داخل مدينة الشحر.

٣٧ـ عمر عبد الله الدُّبّة (من الذين يلفون البغل (التبن) وقد لدغته حية) [١]

٣٨ـ عنبر بن عامر بن كُدّه.

٣٩ـ سالم سعيد بن عويش.

٤٠ـ عوض العبد مهيدي.

٤١ـ مبارك سليمان عبودي.

٤٢ـ عبود عمر ديّان.

هؤلاء غرقوا في البحر خلال بناء القلعتين الحجريتين في طرفي السور الجنوبيين.

٤٣ـ المعلم مبارك بن عوض باخميس، سقط به الجخوار وهو يبني على السور الحجري داخل البحر فسقط على حجرة كبيرة هشمت رأسه.

وإنه لمن تحصيل الحاصل القول إن العفوية وعدم التنظيم كانا مسيطرين على العمال وزعمائهم الذين تصدوا للتعنت الذي أبداه الجمعدار عوض نحوهم بإصراره على اتخاذهم أداة طيعة يسخرهم في عمل السور، لكن إحساسهم بوطأة الظلم الفادح الذي كانوا سوف يتعرضون له لهو الذي أوجد من ضعفهم قوة ومن تمزقهم ترابط ومن تخاذلهم صموداً في وجه الجمعدار.

وقد انتصروا عليه نصراً ساحقاً! لقد انتصروا على بواعث الظلم وحققوا ما كانوا يطالبون به.

إنهم لما يكونوا قد طلبوا شططاً ولم يناضلوا إلا لنيل أجورهم العادية الزهيدة، وكانت عبارة (بالنسبة لعملتنا الحالية) عبارة عن عشرين فلساً يومياً للمعلم (النجار أو البناء) وعشرة فلوس يومياً للعامل العادي، مضافاً إلى أجرة المعلم والعامل العادي رطل تمر (بسط) ثمنه أرديان (أو

أقل من نصف فلس) وكان الأطفال يعملون في السور بثلاثة أرطال تمر يومياً لكل واحد منهم (أو ما يعادل فلساً ونصف الفلس) على الأكثر.

ولسنا نعلم هل نال أقارب الذين ماتوا خلال تشييد سور الشحر وحصن بن عياش تعويضات أم لا؟ لكننا قياساً على ما عرفناه من حالات مشابهة عاصرناها، نكاد نجزم أنهم لم يعوضوا وكفاهم بكاء موتاهم دون أن يمنعهم أحد البكاء!

رحم الله الشاعر الشعبي عمر كرامة بارمادة، هل ينظر من خلال حجب الغيب عندما قال عن العامل:

بيجي زمن بيقع أمرك هو المفروض　　باتنشر الشحر بنديره على نصرك

فإذا كان هناك من يؤمن بالمكاشفة فهذه هي المكاشفة في أروع صورها، وها هي أعلام انتصار اليد العاملة ترفرف لا في الشحر وحدها ولكن على كل شبر من أكثر من ثلثي أقطار العالم وتحرز كل يوم نصراً وموقفاً جديداً.

تلك هي مدينة الشحر الخالدة وذلك هو جانب مضيء بسيط من تاريخها العريق، وليت أنا مستطيعو المضي في البحث عن تاريخها، لكننا لن نألوا جهداً في البحث عن جوانب مضيئة أخرى من ذلك التاريخ إذا

امتدت بنا فسحة العمر ومنحنا الله سبحانه وتعالى القوة وأمدنا بالعون والتوفيق إنه نعم المستعان.

محمد عبد القادر بامطرف

٢١/ ٧/ ١٩٧٧م

شخصيات المسرحية مرتبين حسب ظهورهم في الأدوار:

١ـ صالح بن عمر القعيطي.

٢ـ الجمعدار عوض بن عمر القعيطي.

٣ـ عبد الحبيب بن عامر القعيطي.   في حيدر أباد الدكن بالهند

٤ـ حاجب في الهند، وأحد الجنود في الشحر.

٥ـ المهندس السبيدار مبخوت بن عوض الجعيدي.

٦ـ أحمد سالمين باحبارة، مقدم حافة الرملة بالشحر.

٧ـ بركان بن عبود عصب، مقدم عقل باغريب بالشحر.

٨ـ سعد بن سالم سعد، مقدم عقل باعوين بالشحر.

٩ـ محمد سالم باهرمز، كاتب الجمعدار عوض.

١٠ـ عبد الله أحمد القعيطي، أحد قادة الجيش القعيطي.

١١ـ سالم بن علي بن هرهرة أحد قادة الجيش القعيطي.

١٢ـ علي فرج الله النوبي أحد قادة الجيش القعيطي.

١٣ـ بلال بن عبد الله النوبي أحد قادة الجيش القعيطي.

١٤ـ الصميل (عوض سالم باتكة) رئيس النجارين بالشحر

١٥ـ عبود عمر مقرم مقدم الحمالة بميناء الشحر (صار مقدم عقل باعوين فيما بعد)

١٦ـ كرامة السكوتي   مساعد عبود مقرم

١٧ـ جمعان صحاليل   من أصحاب الإبل العاملة في النقل بميناء الشحر

١٨ـ المعلم عبد الله باحجر   رئيس البنائين بالشحر

١٩ـ عبد الله فرج غرنوق   رئيس الحمالين بميناء الشحر

٢٠ـ عمر كرامة بارمادة عامل بناء وشاعر شعبي معروف

٢١ـ ثلاثة من حاشية السلطان

٢٢ـ عوض المصلي   أحد قادة الجيش القعيطي

٢٣ـ أحمد عبد الله بوبك الحدادي

٢٤ـ سالم سعيد باعرام حائك طاعن في السن من أهالي الشحر.[٢]



الجمعدار عوض بن عمر القعيطي

المشهد الأول

الراويـــــة يتحـــدث: بعد أن انتزع آل كثير الشحر من آل بريك في الخامس من جمادى الثانية عام ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) تطلعوا إلى احتلال مدينة المكلا وطرد حاكمها النقيب صلاح بن محمد الكسادي منها فاستنجد النقيب الكسادي بآل القعيطي المقيمين حينئذٍ بحيدر أباد[٣] الدكن[٤] بالهند فلبى آل القعيطي نداء النقيب ثم اتفقوا معه على القيام بحملة عسكرية مشتركة لطرد آل كثير من الشحر على أن تصبح مدينة الشحر ملكاً من أملاك القعيطي بعد أن تتمكن الحملة العسكرية المشتركة من طرد آل كثير منها.

وقبل أن يصل المدد القعيطي من الهند إلى المكلا لمساعدة النقيب صلاح وضع آل القعيطي مخططاً لإقامة سور حول مدينة الشحر في حالة الاستيلاء عليها لجعلها محصنة ضد أي غزو مضاد يقوم به آل كثير لاستعادة السيطرة عليها منهم.

وفي قاعة اجتماع في بيت الجمعدار عوض بن عمر القعيطي بحيدر أباد، اجتمع الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وأخوه صالح وابن عمه عبد الحبيب بن عامر لمناقشة

مشروع سور مدينة الشحر.

صـــــالح: أنت يا عوض متوجه قريباً إلى المكلا لإقناع النقيب صلاح بفكرة غزو الشحر بقوة منا ومنه لطرد آل كثير وضمها إلينا نحن أبناء الحاج عمر بن عوض القعيطي، أنا واثق أن النجاح سيكون حليفك، ولكن.. يجب أن لا (٥) نستهين بآل كثير، هؤلاء حريصون كل الحرص على أن يكون لهم منفذ بحري يسيطرون عليه في ساحل حضرموت، ويرون أن مدينة الشحر هي المنفذ الطبيعي لذلك الجزء من حضرموت الذي يسيطرون هم عليه، أعتقد أننا متفقون حول هذه النقطة بالذات.

عـــــوض: فعلاً نحن متفقون وسيكون عملنا على الدوام هادفاً إلى قتل هذا الطموح في نفوس رجال الاتحاد الشنفرى وهم آل كثير وآل جابر والعوامر وآل باجري، إن زحزحة الشنافر عن هذه الفكرة سوف يقودنا إلى تحقيق مرامينا البعيدة وهي ربط حضرموت بجبل يافع وإحكام سيطرتنا على الساحة الممتدة من ظفار إلى جبل يافع.

عبد الحبيـب: لا ينبغي أن تشغلنا الآن مرامينا المستقبلية عن أهدافنا الآنية

وبطبيعة الحال ستكون تصرفاتنا مرحلية وتكتيكية.. إنما علينا أولاً وقبل كل شيء الاستيلاء على مدينة الشحر، والسيطرة التامة عليها وعلى المناطق الساحلية المجاورة لها.

عـــوض: ما قلته يا أخ عبد الحبيب هو عين الصواب لأن سيطرتنا على الشحر وأحباطها ينبغي أن تهيئ لنا الانطلاقة مع الزمن إلى تحقيق إستراتجيتنا البعيدة وأن علينا أن نضع حجر الأساس في الشحر وأن يكون حجر الأساس هذا من المتانة بحيث يشيد(٦) عليه تدريجياً الصرح الشامخ الذي خططنا لتشييده وهو الدولة القعيطية المترامية الأطراف.. وثمة نقطة هامة لها علاقة وثيقة بإنشاء الدولة القعيطية على أساس متين ألا وهي الجيش الذي سوف نجعل منه الدرع الواقي لدولتنا.. إن جبل يافع معين لنا لن ينضب من المقاتلين وعلى هؤلاء يجب أن نضع الجزء الأكبر من اهتمامنا.

صـــالح: هذه نقطة في غاية الأهمية لأننا لا نريد أن نكون في وضع شبيه بوضع آل عبد الواحد في بالحاف أو بئر علي، أو العبادلة في لحج أو غيرهم من السلاطين في جنوب اليمن

الذين يعتمدون في ترسيخ دعائم ملكهم على قبائل لا تربطهم بهم روابط الدم، إننا من يافع وإليها!! وإن آل كثير لهم الدولة وهم المقاتلون في آن واحد وأن علينا أن نكون في مثل وضعهم بل وأقوى من وضعهم.

عـــوض: في استطاعتنا تجنيد من نريد من جبل يافع وشد أزرهم بمماليكنا الأفارقة هؤلاء على مر السنين سيكونون جزءاً من أهالي المنطقة وذلك ما حدث بالضبط للعديد من الشنافر الذين قدموا من ظفار ثم استقروا في حضرموت. وهناك يافع التُلُد في حضرموت الذين يسكنون منطقة القطن، لكن هؤلاء لن يكونوا من الولاء لنا بحيث نستطيع دعوتهم إلى القتال في أية لحظة، كما سيكون حال يافع الغرباء، اللهم إلا بعض فئات(٧) منهم لينضموا إلينا كمجندين.

عبد الحبيب: والحل؟

عـــوض: إن علينا أن نقنع كل يافعي بحضرموت تليد أو غريب، بأن الدولة القعيطية ستكون دولته وذلك لنكسبهم إلى صفنا، ولكي نشبع غرورهم سوف نطلق عليهم لقب (عيال

المقام) وهذا اللقب سوف ينطبق أيضاً على مماليكنا الأفريقيين لكن كلمة (مماليك) فيها شيء من الإذلال لذلك سوف ندعوا المماليك باسم (الحاشية)... ما قولكم في هذا الترتيب؟

صـــالح: ذكي جداً!

عـــوض: ما رأيك يا أخ عبد الحبيب؟

عبد الحبيب: ترتيب شيطاني.

عـــوض: الغاية تبرر الوسيلة .. ألا ترون معي أن علينا أن نخاطب العواطف أحياناً قبل أن نخاطب العقول، وخاصة في الذين نرجو منهم أن يبذلوا دماءهم رخيصة في سبيل تحقيق أغراضنا.

صـــالح: مضبوط، بالكل مضبوط! علينا أن نكون محاطين بعيال المقام الذين ذكرناهم وأن لا نعتمد على قبائل المنطقة .. نعم! في استطاعتنا عقد أحلاف مع هؤلاء القبائل، جماعة من تزوج أمنا فهو عمنا، واستخدام من نرى فائدة استخدامه في جيشنا ولكن كقوة تابعة ومساندة لعيال المقام .. وعلينا أن نفرق بين من يسميهم الحضارم (رجال

الفعل) وبين من يسمونهم (المقلومين)[٨] ماذا تقول يا عوض؟

عـــوض: أوافقك! أنك قد تملك حاجة (المقلوم) ولكنك لا تملك ولاءه.. أو ما يسمية ابن خلدون (العصبية) [٩] مهم جداً في إقامة صرح الملك وديمومته.. يجب أن يكون لجنودنا ـ على الأقل من الناحية النظرية ـ نفس أهدافنا وطموحاتنا المستقبلية ومقابل ذلك علينا أن نجعل في إيراد السلطنة نصيباً معقولاً لعيال المقام.. أي إن علينا أن نمنحهم امتيازات معينة تجعلهم مشدودين إلينا، وكما تعلمون فإن الناس عبيد الإحسان.

صـــالح: ذلك ما كان يجول بخاطري يا أخ عوض!

عـــوض: أكيد.. دعهم يقولون.. سيدي مات وقرصي ما مات أي إن المنافع التي سوف يجنونها مخولة وكامنة في بقاء السلطنة وليس في سلطان معين من سلاطينها.. إننا سوف نمضي بعد حين ولكن الدولة القعيطية ينبغي أن تظل باقية إلى الأبد.

صـــالح: يعجبني فيك يا أخ عوض طموحك الذي لا يعرف

الحدود!

عـــــوض: إذا كنت تعني أنني متفائل أكثر من اللازم فإنني لا أنكر أن لدي شيئاً مما يسميه فلاسفة الحكم (الطفولية السياسية).. لست أنكر ذلك.

يا الله.. يا الله..

عبد الحبيب: وماذا عن مدينة الشحر ذاتها؟

صـــــالح: ما هو قولك عنها يا أخ عوض؟ أنت أعرف بأحوال حضرموت أكثر منا وأنك قد زرت مدينة الشحر منذ زمن ليس بالبعيد.

عـــــوض: معرفتي بالمدينة جيدة.. لكنني لا أعرف إلا النزر اليسير عن أهلها وطبائعهم، وعلى أي حال فإنها ستكون قاعدة ملكنا.. إنها على وضعها الراهن مدينة مفتوحة مداخلها عديدة، وعلى جانب من ناحيتها الشمالية الغربية سور قديم متهدم وركيك البناء لا يعلم الناس منذ متى أنشئ، وغالبية أهلها من الصيادين والفلاحين وفئات العمال الأخرى من بنائين ونجارين وحرفيين آخرين وتجار صغار.. وتجارتها الكبيرة في يد الهنود المسلمين، وهؤلاء لا تربطهم بالأهالي

أية روابط باستثناء رابطة الاستغلال، لذلك فإن أهالي الشحر يمقتونهم رغم ما يؤدونه للبلدة من خدمات. وربما وجدت أكثريتهم تقول على سبيل التشهير بأولئك التجار: (إن كان في الرز قوة كان في الهندي مروءة) وعلينا أن نسور هذه المدينة بسور حديث ومتين إذا نجحنا في انتزاعها من آل كثير.

صالح: هل اعتاد الحضارم أن يسوروا مدنهم؟

عوض: نعم، في القديم.. تريم كما يقال كانت مسورة. ولكنها اليوم غير مسورة أما شبام وسيئون فإن بعض بيوتها المحيطة بهما مرتبطة بأسوار أشبه ما تكون بأسوار الحدائق.

صالح: ثم ماذا عن السور القائم حول مدينة الشحر؟

عوض: قلت لكم إنه قائم حول جزء بسيط من المدينة وإنه لمن السهل للمهاجم أن يعلوه أو أن يخترقه بسهولة، وهو على أية حال لن يشكل أية عقبة في سبيلنا حينما تداهم قواتنا المشتركة آل كثير في الشحر.

صالح: بالمناسبة.. كيف استولى آل كثير على الشحر وأخرجوا آل بريك منها؟

عـــوض: في عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) أي قبل ثمانية عشر عاما من اليوم حاول آل كثير بمساعدة الأتراك الاستيلاء على الشحر، فهاجموها من دفيقة، ولكن الترابط المتين بين آل بريك وآل كساد أصحاب المكلا استطاع صدهم وإلحاق الهزيمة المنكرة بهم وتلك الحملة الفاشلة يسميها المؤرخون (حملة إسحاق بن عقيل) وهو أحد العلويين الحضارمة الذين كان لهم ارتباط بالباب العالي العثماني، وكان في طليعة المحرضين على اشتراك الأتراك في هذه الحملة لصالح آل كثير.. ولكن الخلاف في تاريخ متأخر دب بين آل كساد وآل بريك من جهة، وبين آل بريك بعضهم ضد بعض من جهة أخرى، فهاجمهم آل كثير ولم يقاوم آل بريك بل خرجوا هاربين بنسائهم وأطفالهم من حصن بن عياش إلى السفن الراسية في ميناء الشحر التي سافرت بهم إلى أحور على عجل، ودخل آل كثير مدينة الشحر بدون حرب تقريباً وكان دخولهم من جهة الخور.

صـــالـح: إلى هذا الحد؟

عـــوض: شيء مؤسف، تصوروا أن آل حسين أهل حصن الرباط..

صـــالـح: (مقاطعاً): من هؤلاء آل حسين؟

عـــوض: فرع من آل بريك يقع حصنهم إلى شمال مسجد الشيخ سعد بمدينة الشحر.

صـــالـح: شكراً! استمر!

عـــوض: كان آل حسين يكيدون لآل عبود (آل بريك) حلّان المجرف، أخوال علي ناجي الحاكم الذي فر من الشحر من وجه الجيش الكثيري، وكان آل عاطف (آل بريك) حلان القرية يكيدون لعلي ناجي المهزوم، وأحياناً كانوا يستولون على معشرات جمرك الشحر،وعساكر آل بريك وحاشيتهم يحكمون في الحارات التي كانوا يسكنونها من مدينة الشحر، وكل واحد منهم يسمي نفسه (الصدر الأجل) فلان بن فلان كما أن آل كثير قد اشتروا ذمم الكثيرين من جند وحاشية علي ناجي، الذي وجد نفسه وحيداً أمام الجيش الكثيري، ففر من الشحر بنفسه وبأسرته إلى أحور ثم إلى لحج.

صـــالـح: ألم تكن بالخور حامية لآل بريك تدافع عن المدينة؟

عـــوض: كان بها عدد من المسلحين العوابثة هؤلاء كانوا حلفاء آل

بريك وكانوا يتمتعون بامتيازات الجدوح في الخور والرملة، مقابل حمايتهم لهذين الحيين من مدينة الشحر، ولا يزال العوابثة يتمتعون بهذه الامتيازات إلى اليوم! ولكن العوابثة لم يكن ليهمهم أن يستبدلوا حليفاً بريكياً بحليف كثيري لأن المهم في نظرهم كان هو امتياز الجدوح.

صـــالح: ما هي امتيازات الجدوح التي تتحدث عنها؟

عـــوض: عادة الجدوح هي أن يأخذ البدوي (العوبثاني في حالة الخور والرملة) كمية من سمك العيد أو حوتاً أو حوتين من السمك الآخر بدون مقابل أو بسعر مخفض جداً من كل سنبوق سمك يأتي من البحر لأهل الخور أو أهل الرملة!

صـــالح: أي إن العوابثة كانوا يأخذون هذه الأتاوة من صيادي الخور والرملة مقابل دفاعهم عن الوجود البريكي في الشحر، مع أنهم في واقع الأمر لم يقوموا بواجب الدفاع عندما جد الجد.. شيء غريب!

عـــوض: حضرموت مليئة بالعادات والتقاليد والمفاهيم الغريبة.. ومن أغرب ما بلغني أن إحدى وثائق الحلف بين علي

ناجي بن بريك والعوابثة اشترط فيها علي ناجي على العوابثة المواظبة على صلاة الجمعة [١٠]، فهل تدرون ماذا قال شاعر العوابثة عندما اطلع على مسودة الحلف المقدمة إليهم من علي ناجي؟

صـــالـح: ماذا قال؟

عـــوض: قال:

قل لبن ناجي علي ما انته الرب الإله

راس بوعوبث غلب ما يعاهد ع الصلاة

(يضحك الجميع من هذا البيت)

عـــوض: لاحظوا أن العوابثة كانوا أعقل من علي ناجي لأن اشتراطه هذا فيه اتهام للعوابثة بعدم قيامهم بالفروض الدينية.

صـــالـح: العوابثة أذكياء جداً، أليس كذلك؟

عـــوض: جداً.. وإن ذكاءهم لهو الذي جعلهم يتخلون عن آل بريك في آخر لحظة عندما داهم الشحر آل كثير، ذلك لأنهم أدركوا بذكائهم أنهم سوف يدافعون عن كيان هش متهالك على نفسه وذلك بعد أن دبّت الفرقة بين آل بريك أنفسهم، ثم انحاز العوابثة إلى آل كثير.

صـــالـح: تصرف معقول!

عـــوض: بدون أدنى شك، لذلك فإن علي أن أؤكد هنا أن الواجب يقضي علينا عدم الاعتماد على هؤلاء البدو سواء في حالة قوتنا أو ضعفنا، ويجب أن تفهموا أنهم يعتبرون يافع عنصراً دخيلاً في حضرموت! من هنا علينا أن نعتمد على يافع والحاشية كقوتنا الضاربة لأن رفعة هؤلاء من رفعتنا وهوانهم من هواننا.

عبدالحبيب: وماذا عن مشروع السور؟ يبدو أننا أطلنا الحديث في حديث غيره!

عـــوض: كلا! كان حديثنا كله مدخلاً أساسياً للحديث عن السور الذي هو بيت القصيد من اجتماعنا اليوم، أجل إن علينا أن نسور مدينة الشحر بأسلوب يتناسب مع الأسلحة المستعملة أو التي يحتمل استعمالها في المستقبل المنظور بحضرموت، إنكم ولا ريب ستوافقونني أن للشحر إمكانيات مالية ضخمة، وأهالي حضرموت يسمون الشحر سدة الوادي، ولقد كانت كذلك منذ فجر التاريخ! وأن علينا أن لا ندعها تسقط في أيدي أعدائنا آل كثير مهما

كانت التضحية.

صـــالـح: ماذا قال السبيدار الجعيدي؟

عـــوض: إنه قادم إلينا بعد قليل. وقد شرحت له الفكرة وزودته بمعلومات كافية عن المدينة وطلبت منه وضع تصميم للسور الذي نعتزم إقامته حول مدينة الشحر.

صـــالـح: إن السبيدار الجعيدي من خيرة الشباب المولّدين الحضارمة الذين يعملون في سلاح المهندسين بجيش نظام حيدر أباد، وعلى فكرة ألا ترى يا أخ عوض أننا نستبق الحوادث؟

عـــوض: ماذا تقصد؟

صـــالـح: إننا نخطط ونرسم ونحلل ونناقش والشحر واقعة الآن تحت آل كثير. لعلنا كما يقول المثل الحضرمي، نقزح والتيس في الجبل!!

عـــوض: (ضاحكاً): لا تخف التيس عندنا في الحوش! بل إنني أشعر وكأنني قابض على رقبته بيدي .. آل كثير يا أخ صالح أناس فقراء بالنسبة لنا، ولن يستطيعوا مجاراتنا في حرب استنزافية طويلة.. أنا لا أنكر أن الاتحاد الشنفرى قوة مترابطة لا يستهان بها، ولكن الفقر كما يقول الشاعر بو

عامر مزراة الرجال!

صـــالـح: ماذا تقصد بالضبط بقولك هذا؟

عـــوض: إن الشنافر فقراء كدولة لأن كل واحد منهم معتمد على طاقته المالية الخاصة فالمقاتل يوفر لنفسه الزاد والسلاح ووسيلة النقل ولأن سلاطينهم لا إمكانيات مالية لديهم.. أما نحن فسوف نسيّر الجيوش بمالنا وأسلحتنا وسندفع للجنود المرتبات المغرية وسنزودهم بالطعام الجيد، سوف أدفع للمقاتل عشرة ريالات فرانصة خلال العمليات العسكرية وسأدفع سبعة ريالات للجنود المتمركزين في الحصون. إن القاضي في الشحر لا يكسب أكثر من ستة ريالات في الشحر. إنني أيها الإخوة واثق من القضاء على آل كثير في الشحر قضاء مبرماً، وعندما نقيم السور حول مدينة الشحر سوف تكون لديكم يا آل عمر بن عوض القعيطي ثلاثة جيوش عظيمة في الشحر.

صـــالـح: (مستغرباً): ثلاثة؟

عـــوض: (ضاحكاً): أي والله ثلاثة!!

عبد الحبيب: ما هي؟

عـــوض: يافع والحاشية جيش! وسور الشحر جيش ثاني!! وأنا! أنا عوض بن عمر القعيطي جيش ثالث!

صـــالح: (مستغرقاً في الضحك) شاباش! شاباش! أنا في الحقيقة معجب بفرط الثقة في نفسك يا أخ عوض إلا أنني لا أحبذ الانسياق الجم خلف هواجس النفس بدون إمعان في الملابسات والطوارئ، إننا داخلون في بحر لم نسبر أغواره بعد!!

عـــوض: الحق معك، ولكني أعرف حضرموت وقبائلها والروح القتالية التي يتمتعون بها!!

صـــالح: ماذا تعني بهذه العبارة الغامضة؟ هل أنت تذم أم تمدح قبائل حضرموت؟

(يدق الباب... فيدخل حاجب ويقول إن السبيدار مبخوت بن عوض الجعيدي بالباب) .

(يقوم صالح بن عمر من مكانه ويتجه نحو الباب ويظل واقفاً برهة في انتظار مبخوت الجعيدي، ثم يدخل الجعيدي ببزته العسكرية فيعانقه صالح مرحباً به في حين يقوم احتراماً له كل من عوض وعبد الحبيب ويتبادل الجميع

التحيات، ثم يأخذون مقاعدهم).

مبخــوت: (يفرش أمام الحضور ورقة كبيرة) هذا يا جمعدار عوض تصميم لتصوري ما ينبغي أن يكون عليه سور الشحر، لقد صممت السور على أساس المعلومات التي زودتني بها وقد راعيت في تشكيل بنائه مواد البناء المتوفرة في الشحر ومدى مهارة اليد العاملة بها. وراعيت أيضاً الأسلحة المستعملة في حضرموت اليوم أوالتي يحتمل إدخالها في مدى عشرين عاماً.

(ثم ينهض من مكانه آخذاً الورقة بيده فيلصقها بدبابيس إلى لوحة مثبتة على الحائط ويقف أمام الحاضرين كمحاضر مشيراً بين الحين والآخر بعصاه العسكرية الصغيرة إلى اللوحة ويقول:

الخط الأسود هو موقع السور القديم والخط الأحمر سيكون موقع السور الجديد، وكما ترون فإن السور الجديد يحيط برقعة مدينة الشحر مبتدئاً من البحر ومنتهياً إلى البحر، إنه كما ترون متعدد الزوايا وله في طرفيه الجنوبيين قلعتان حجريتان للمدفعية سيكون شكلهما هكذا (يعرض رسماً

لإحدى القلعتين على الحاضرين).

وهناك قلعتان مشابهتان لهما مبنيتان من المدر للمدفعية أيضاً واحدة على الزاوية الشمالية الغربية للسور والثانية على الخط الشمالي المنطلق من سدة العيدروس إلى الشرق. وإضافة إلى هذه القلاع الأربع ستبنى في السور أربعة وثلاثون حصناً أو ما يسمونها أهل حضرموت أكواتاً، سيكون شكل كل منها مع تعديل طفيف في بعضها هكذا (يعرض رسماً لأحد الحصون) هذه الحصون ستحيط بالمدينة تابعة امتداد السور، وهذه هي مواقعها (يشير بعصاه إلى مربعات صغيرة مرسومة عل خط السور الأحمر، ستكون الأبعاد بين هذه الحصون متقاربة تقريباً من بعضها بحيث أن كل حصن يغطي الثاني من الناحية الدفاعية من هذه الحصون الأربعة والثلاثين، هناك أربعة حصون قائمة الآن وقد بناها آل بريك، الأول هو حصن فريد بن ناجي (عرف فيما بعد بكوت عبيد الدوعني) والثاني حصن الجول وهو مطل على مسجد باهارون (عرف فيما بعد بكوت رابح) والثالث حصن آل الغرب وهو من حصون

الرباط (عرف فيما بعد بكوت باتمباك وهو قائم إلى اليوم) والرابع حصن بن جوبان على الزاوية الشمالية الشرقية للسور الجديد (عرف فيما بعد بكوت سالم سليمان وهو قائم البناء إلى اليوم)، وستكون للسور بوابتان كبيرتان وعدة منافذ صغيرة وكل بوابة سوف تشتمل على حصنين جديدين بينهما باب خشبي كبير (يعرض على الحاضرين رسم إحدى البوابتين) وسيمثلان المدخلين الرئيسين للمدينة من الشمال ومن الغرب.

طول حائط السور حول المدينة ١٠أ٤٦٣ قدماً (حوالي ميلين) وستكون المسافة بين طرفي السور البحريين أي بين النوبة والنوبة ٥أ١٩٣ حوالي الميل، أما عرض جدار السور ومواصفاته الأخرى وكذا تفاصيل القلاع والحصون ستكون حسب التفاصيل في الخرائط والرسوم البيانية الملصقة بهذه الخريطة الرئيسية، وعلى أي حال سيكون جدار السور مسلحاً بالأضلاع وسيكون في أعلاه ساتر يرمي الجندي المسلح برصاص البندقية من خلفه ويتحرك على طول جدار السور بسهولة وسيكون شكل الحائط

وأضلاعه وساتره هكذا (يعرض رسماً لجزء من حائط السور على الحاضرين)

صـــالح: شكراً يا سبيدار مبخوت، يبدو السور رائعاً من الناحية التشكيلية! ولكن ما هي قيمته العسكرية؟!

مبخــوت: مع اكتشاف أنواع الباروت الجديدة، أصبحت مثل هذه التحصينات ذات قيمة عسكرية ضئيلة، وكل ما يمكن أن يستفاد منها أنها تعرقل زحف العدو الغازي، ولكنها لن تمنع بصورة قطعية اقتحام المدينة، ما لم يكن هناك جيش قوي يدافع عنها بأسلحة متفوقة على أسلحة العدو الغازي فالعنصر البشري المدرب تدريباً عسكرياً ممتازاً والمسلح تسليحاً جيداً هو الأساس الذي عليه المعوّل في الدفاع عن المدن، وقد كان كذلك منذ فجر التاريخ، وسيظل هكذا إلى ما شاء الله، إن السور الذي وصفته لكم سوف يرد الغزاة إذا كان عددهم في حدود المئات ولم يكونوا متفوقين في السلاح ومع ذلك فإن من الممكن فتح ثغرات فيه تحت جنح الظلام بنسف جوانب منه بالباروت أما سلاح المدفعية الجيد فسوف يدمر هذا السور بسهولة، ولكن إذا

أخذنا بعين الاعتبار حالة المقاتل في حضرموت وما هو عليه من تسليح فإن هذا السور يعتبر من أعتى التحصينات التي عرفتها حضرموت في تاريخها الطويل.

صـــالح: وماذا عن الرياح الموسمية وهيجان البحر الناتج عنها والرطوبة وغير ذلك من العوامل، هل فكرت فيها؟

مبخــوت: نعم، لقد أحاطني الجمعدار عوض علماً بها، لذلك فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار ناحية الصيانة المستمرة لهذا السور، إن حائطه الممتد داخل البحر سوف يتعرض لضغط شديد من الأمواج العالية في المدة الواقعة بين نهاية شهر مايو ونهاية شهر أغسطس من كل عام، كما أن جوانب من حائطه المبني من المدر سوف يتعرض لتراكم الرمال من الرياح الموسمية ورياح الأزيب، ناهيك عن الرطوبة البحرية التي ستؤثر على طرفي السور القريبين من البحر، لابد إذن من توفير صيانة دائمة للسور، وخلاصة القول إن بقاء هذا السور قائماً سوف يحتاج إلى ميزانية سنوية لا يستهان بها.

صـــالح: شكراً لك يا سبيدار مبخوت أعتقد أنك أوضحت لنا

إيجابيات وسلبيات مشروع السور بكل صراحة، وذلك ما كنا نؤمله منك، أكرر لك الشكر.

مبخـــوت: العفو، إن السور الآن محصور في نطاق النظريات ومعنى ذلك أنه قد يحتاج الأمر إلى تعديل جوهري في بعض مواصفاته على ضوء التنفيذ الميداني له!

صـــــالح: (موجهاً حديثه إلى أخيه الجمعدار عوض) هل أنت مصمم يا أخ عوض على تنفيذ فكرة السور بعد أن سمعنا ما سمعناه عنه من السبيدار مبخوت؟

عــــوض: واجب السبيدار مبخوت، وهو واضع التصميم وبوصفه خبيراً في الاستحكامات العسكرية أن يقول لنا ما للسور وما عليه، وأن علينا أن نوفر الصيانة اللازمة للسور بعد أن نقيمه.

مبخـــوت: اسمح لي يا جمعدار عوض، وكذا الإخوة بالانصراف لأن لدي ميعاد في المعسكر.

(عوض يهب واقفاً ويتبعه الآخران فيودعون السبيدار بالشكر ويمشون معه إلى الباب، فينصرف السبيدار ويعود الثلاثة إلى مقاعدهم)

صـــالح: بعد أن تسقط الشحر في أيدينا في استطاعتك يا أخ عوض أن تستشير الأخوين محمد بن عمر وعبد الله بن عمر في موضوع السور ثم تكتبون لي بما يقر عليه رأيكم، ولا بد من مشاورة عقلاء يافع في الشحر.

عـــوض: أعتقد أن الأخوين محمد وعبد الله لا يدركان تماماً أهمية مثل هذا السور، إنه مشروع قد يفوق تصورهما، أما عقلاء يافع الذين قد تحوجنا الظروف إلى مشاورتهم في موضوع السور، فستكون مشاورتنا لهم مشاورة شكلية ليس إلا، لأنهم لا يدركون تماماً مرامينا البعيدة من إنشاء هذا السور، ونحن لسنا في عجلة لنبوح لهم بكل ما نضمره.

صـــالح: وماذا عن العمال في الشحر؟

عـــوض: أمرهم سهل. لن نطلب منهم إلا أن يتطوعوا بالعمل بدون أجر، كل على حسب طاقته.

صـــالح: بدون أجر؟

عـــوض: أعمال السخرة بين الحكام والمحكومين في حضرموت مسألة عادية..

صـــالح: وإذا رفض عمال الشحر أن يعملوا في السور بدون أجر!

عـــــوض: (يرفع عصاه الغليظة وينظر إليها) ويقول: هذه! هذه! إنها العصا لمن عصى، وليس لدي غيرها لهم، إننا في سبيل إنشاء دولة ولن نجعل إنشاء هذه الدولة رهناً بمباركة مقادمة يافع أو الحاشية أو موافقة عمال الشحر.

صـــالح: على أي حال لا نريد أن نخوض في أمور ستكون أنت المسئول الأول عن تنفيذها،ربما احتجنا إلى المداولة في موضوع السور بعد أن تسقط الشحر في أيدينا.

عـــــوض: كلا لابد أن أحصل الآن على موافقة مسبقة منك بحضور الأخ عبد الحبيب على أن أبني السور بالطريقة التي أراها مناسبة طبقاً لتصميمات السبيدار مبخوت أو مع تعديلات قد أراها ضرورية عند التنفيذ.

صـــالح: وفيم العجلة؟

عـــــوض: أريد أن أنهي موضوع السور وأتجاوزه إلى أمور هامة أخرى لابد أن نخطط لها هنا ونتفق عليها قبل أن أتوجه إلى المكلا.

صـــالح: (متراجعاً) حسناً إنني أوافقك في كل ما ترى عمله بشأن سور الشحر فامضِ والله الموفق.

عـــوض: شكراً ولن تسمع إلا الأخبار السارة وخاصة من عمال الشحر.. أعتقد أنهم سوف يرحبون بالتطوع في عمل السور، إنهم رعايا! رعايا! وإني لسوف أقنعهم.

ستار

****

المشهد الثاني

الراويــــة يتحـــدث: استولت القوات القعيطية الكسادية المشتركة على مدينة الشحر في التاسع عشر من شهر ذي الحجة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) بعد أن طردت آل كثير منها، وبعد ذلك أعلن أن المدينة أصبحت ملكاً من أملاك أبناء الحاج عمر بن عوض القعيطي، وفي سلخ رجب ١٢٨٤هـ حاول آل كثير استعادة مدينة الشحر وقد دارت معارك ضاريةداخل مدينة الشحر بين آل كثير وبين القوات القعيطية دامت ستة أيام ولكن القعيطي استطاع أن يرد آل كثير على أعقابهم خاسرين، فخرجوا من مدينة الشحر وهم يبيتون العزم على معاودة الهجوم على الشحر لاحتلالها مهما كلفهم الثمن.

إن موقف آل كثير قد جعل الجمعدار[1] عوض بن عمر القعيطي أكثر تصميماً على إنشاء سور جديد ومتين حول مدينة الشحر، لاسيما وأن آل كثير قد استطاعوا اختراق سور الشحر القديم في هجومهم عليها في آخر رجب ١٢٨٤هـ.

وبعد مداولة سريعة مع أخيه عبد الله بن عمر ومع عدد من رؤساء الجند وحملهم على الموافقة على مشروع بناء سور

جديد حول مدينة الشحر، دعا الجمعدار عوض إلى عقد اجتماع في القاعة المعروفة باسم صنعاء بدار ناصر بمدينة الشحر وذلك في صباح اليوم الخامس من شهر محرم ١٢٨٥هـ حضره من قادة الجند المقدم عبد الله أحمد بوبك الحدادي والمقدم سالم بن علي بن هرهرة والمقدم علي بن فرج الله النوبي والمقدم بلال بن عبد الله النوبي، كما دعي إلى الاجتماع المقدم أحمد سالمين باحبارة [٢] مقدم حافة الرملة والمقدم بركان بن عبود عصب مقدم عقل باغريب والمقدم سعد بن سالم سعد مقدم عقل باعوين وقد حضر هذا الاجتماع الشيخ محمد بن سالم باهرمز كاتب الجمعدار عوض.

يشاهد الحاضرون حسب ترتيبهم سالف الذكر.

يدخل الجمعدار عوض القاعة فيقف الحاضرون له إجلالاً فيصافحهم الجمعدار فرداً فرداً، إلى أن ينتهي بالشيخ باهرمز فيسأله الجمعدار عن شخص بين الحاضرين لفت انتباهه وهو المقدم أحمد بن سالمين باحبارة الذي كان يلبس إزاراً يربطه بطوق جلدي حول وسطه وكان عاري الجزء

الأعلى من جسده إلا طاقية قماشية قديمة على رأسه، وكان يحمل على كتفه الأيمن قطعة صغيرة من شبكة صيد ملصق بها المنسج الاعتيادي الذي يصنع به الصيادون أشباك السمك، فيرد الشيخ باهرمز إن ذلك الشخص هو المقدم أحمد بن سالمين باحبارة مقدم حافة الرملة، وإن الشخص الذي يليه هو المقدم بركان بن عبود عصب مقدم عقل باغريب وإن الشخص الذي يلي عصب في الترتيب هو المقدم سعد بن سالم سعد مقدم عقل باعوين فيأمر الجمعدار الحاضرين بالجلوس ويظل هو واقفاً، ثم يتحرك جيئة وذهاباً في الغرفة عاقداً يديه خلف ظهره.

الجمعدار عوض شخص ربع القامة متين البنية [٣] ذو وجه منغولي الملامح حليق الذقن وله شارب خفيف يتدلى طرفاه إلى جانبي فمه الواسع، عيناه ضيقتان، وبشرته قمحية، وهو دائم العض على نواجذه من فرط التفكير، إنه الآن في منتصف العقد الخامس من عمره يتحدث بصوت خفيض وكأنه يخرج من بطنه[٤] يعتم بعمامة حريرية مستديرة حول رأسه[٥] ويلبس سروالاً طويلاً ضيقاً من القماش الحريري

الغليظ المطرز بزهور صغيرة ملونة، وسترة من نفس القماش بها زرارات تبدأ من تحت عنقه وتنتهي إلى أسفل سرته، ويضع في جيب سترته الأيسر العلوي ساعة مربوطة بسلسلة ذهبية، دقيقة الصنع مثبت طرفها في ثقب الزرار المحاذي لرأس الجيب المذكور وينتعل جزمة سوداء لماعة الجلد يضع على الدوام في جيب سترته الأيسر الأسفل مذكرة وقلماً من الرصاص، وهو مثقف قوي الذاكرة.

ويلاحظ الجمعدار عوض التوتر السائد في القاعة فيحاول إزالته فيوجه الحديث إلى المقدم باحبارة مازحاً بقوله:

الجمعدار: (مخاطباً باحبارة) الرادي ولو تعريت يا باحبارة!! (٦)

باحبارة: (ضاحكاً وقد فهم مقصد الجمعدار) لا ياجمعدار هذا (يشير إلى الشبكة) ما هي رادي ولكني أصنعها بيدي وأبيعها، وقد دعاني العسكري إلى الجلسة وأنا في السوق ولم أجد مكان أضع فيه الشبكة فجئت بها معي!

الجمعدار: بحار؟!

باحبارة: أيام الشبّة والقوة، نعم... أما اليوم فأنا في الخامسة والسبعين من العمر، ولا أركب البحر..

الجمعـدار: ماذا تعمل الآن؟

باحبـــارة: أعمل هذا النوع من الشباك (يشير إلى قطعة الشبكة التي في يده) هذا النوع يقال له (محش) ويستعمله البحرة لصيد نوع صغير من السمك اسمه (المنتوج) وبعد أن أكمل المحش أبيعه وأعيش منه.

الجمعـدار: (يتقدم نحو باحبارة فيأخذ الشبكة من يده ويتفحصها) رائع! عمل رائع! لعلك تجد ما يكفيك من بيع هذه الشبكات!!

باحبـــارة: الحمد لله! سالم من الدين، وهذه نعمة كبيرة!

الجمعـدار: ما عندك أولاد يساعدونك؟

باحبـــارة: عندي ولد مسافر في بلاد الصومال منذ مدة طويلة، وهو يساعدني باستمرار وعندي بنت متزوجة في الشحر.

الجمعـدار: أهل حافة الرملة ما يساعدونك بصفتك مقدم عليهم؟

باحبـــارة: العمل في شئون الحافة تعاوني يا جمعدار! ولا نستلم عليه أجر، لأن اليوم عندك وغُدوة عندي واليد مع اليد تعين.

الجمعـدار: (وقد وجد المدخل المناسب في جواب باحبارة ليطرق موضوعه الذي دعا الاجتماع له) حق ما ذكرته يا مقدم

باحبارة! يد الله مع الجماعة! نعم يد الله مع الجماعة، والعمل التعاوني من أجلّ الأعمال وأبركها. وأنا لهذا السبب دعوتكم هنا، لأننا بحاجة إلى أن نتعاون.

باحبـــارة: نحن مبذولين في عمل كل خير! وتعاونوا على البر والتقوى، صدق الله العظيم.

الجمعـدار: (بدهاء) ونعم القائل عز وجل! (يوجه الحديث إلى عصب وابن سعد) إيش تقولون يا مقادمة؟ أريد التحدث إليكم في موضوع مهم، ولكي لا يتبعثر الكلام ويضيع الوقت أقترح أن تختاروا أنتم الثلاثة بما فيكم باحبارة، واحداً منكم يتحدث عنكم معي وتسمعوا أنتم الحديث، وأي واحد لديه تعليق على الحديث المتبادل يقوله بعد أن ننهي الحديث، إيش يا بن سعد؟ ماذا ترى؟

بـن سـعد: المقدم أحمد باحبارة هو الذي سيتحدث نيابة عنا، وكل ما يقوله مقبول عندنا ونؤيده.

الجمعـدار: هكذا! دون أن تعلم ماذا سيكون الحديث؟

بـن سـعد: نحن مطمئنين من ناحية المقدم أحمد باحبارة مهما كان الحديث!

الجمعـدار: وأنت يا عصب؟

عصــــب: في المقدم أحمد باحبارة الكفاية، وهو أبو الكل.. أهل عقل باغريب وباعوين وأهل الرملة.

الجمعـدار: ماذا تقول يا باحبارة!

باحبــارة: أنا في الحقيقة لا أدري إيش معك من كلام يا جمعدار، ولكن كما أظن ما با يكون إلا خير، وعلى كل حال الإنسان يخطي ويصيب!

الجمعـدار: أنا قد قلت أن لابن سعد ولعصب حق التعليق على الكلام الذي سيدور بينك وبيني!

باحبــارة: فهمنا ذلك وما دام الجماعة ألقوا بالحمل علي فأنا مستعد! والمصلحة واحدة!

الجمعـدار: (يدخل تواً في موضوعه) لا يخفاكم قصدنا نقيم سور جديد حول مدينة الشحر، سور قوي ومن نوع جديد، لأنكم تعرفون كيف آل كثير يريدون يهاجموا الشحر، وكما أعتقد فإنهم لن يتوقفوا، وعلينا واجب الاستعداد لذلك ومن جملة استعداداتنا إقامة السور الجديد والسور القديم الذي فتشوه ودخلوا منه بعض من آل كثير في شهر رجب

الماضي بانكسره، ماذا ترى يا باحبارة؟

باحبـــارة: لا بأس كمل كلامك.

الجمعــدار: فقط أحب أقول إن نحن نريد منكم يا أهل الشحر ـ أقصد العمال في الشحر جميعهم يشاركون في عملية البناء بأيديهم مجاناً بصورة تعاونية ويمكن يمتد العمل كم سنين، وبا نقسم العمل بين أرباع البلد وهي حوالي عشرين ربع، أي أن عدداً من أرباع البلد با تعمل يومياً بالدورة باستثناء يوم الجمعة، وفيما بعد با نشوف كيف يكون توزيع العمل بالمشاورة معكم، ومع مقادمة العمال المختصين، فإيش رأيك يا مقدم باحبارة أولاً من ناحية إقامة السور الجديد؟

باحبـــارة: لا أوافق على إقامته، ولا أرى لك فيه مصلحة ولا لنا نحن أهل الشحر!

الجمعــدار: (مصدوماً، ولكنه كظم غيظه) وما هو السبب؟

باحبـــارة: السبب أنني أرى أن السور لن يحميك من آل كثير ولا من غيرهم، ولكن الذي سوف يحميك هو العدل والإنصاف.

الجمعــدار: ماذا تقصد هنا بالعدل والإنصاف يا باحبارة؟

باحبـــارة: أن تحسن أحوال الرعية داخل الشحر وأن تحسن علاقتك

مع أهل حضرموت والبادية، المعروف أن آل كثير يريدون منفذاً إلى البحر فإما أن تتفق أنت وهم على منفذ مناسب لهم أو أن تمنحهم تسهيلات في ميناء الشحر، وستجد أن مثل هذا العمل أفيد بكثير من الحرب... الحرب دمار.. الحرب خسائر في الأرواح والأموال يا جمعدار.. ونحن لا نعجب بالمنتصر في الحرب بعد سفك الدماء، ولكننا نعجب بالدولة العادل الذي ينصف من نفسه قبل كل شيء.

الجمعدار: كلامك صحيح ولكن آل كثير يريدون يطردون كل داعي يافعي من الشحر بل من حضرموت كلها.

باحبارة: هذا الكلام وأمثاله يقولونه الناس فوق الدكك وفي المقاهي وفي المصاوغ والذين يحبون الفتن ـ منكم ومن آل كثير ـ .. ناس قلة، ولكن أكثر الناس هنا وفي سيئون لا يحبون إلا الصلح والصلاح، وأنت يا جمعدار على قول المثل: كل طير وخل طير لا تقسم وتطرح تحتك بس! وأنت على كل حال رجال عاقل وتفهم كل الأمور، تناظروا بواسطة عقلاء الرجال في حضرموت، أنت وآل كثير وباتشوف في النهاية

أن هذا أحسن من الشر.

الجمعـدار: أنتم بعض الأمور ما تفهمونها عن آل كثير ولهذا تقول هذا الكلام!

باحبـــارة: إيش هو ذي ما نفهمه؟ أنت دولة وهم دولة، وأنت ما يصح منك تعامل دولة معاملة أفراد عاديين، فهل با ترضى أنت أن يعاملك آل كثير كما يعاملون واحد من رعاياهم؟ المهم يا جمعدار إن نحن كثير أمور مرت على رؤوسنا وشفنا أحوال كثيرة بين الدول، وإذا فكر فيها الإنسان العاقل يرى أنها كلها جنون في جنون! ونحن نقول هذا الكلام لأننا نظرنا فيه الصالح لك ولعساكرك وحاشيتك ولأنفسنا وعيالنا ولا تظن أنا خائف على شيء يضيع مني إذا وقع حرب! أنا لا أنا صاحب بخاخير ولا صاحب ديار ولا صاحب نخيل ولا معي سبيبة (٧) عيال أو بنات با خاف عليهم، باحبارة معروف خو هذا المحش (يشير إلى شبكته) ولكننا أنظر إلى أمة محمدية با تهلك من الفتن وعلينا نقولك الحق، والمستشار مؤتمن!

الجمعـدار: بصرف النظر عن أي شيء بيننا وبين آل كثير هل قيام

السور فيه فائدة؟

باحبـــارة: شف ياجمعدار! الشحر بلاد واسعة وفيها الساحات الكبيرة والشوارع الواسعة وديار أهل الشحر واسعة جيراننا في الرملة يوشرون صنابيق كبيرة لصيد السمك داخل أحواش ديارهم. با تجي أنت با تبني السور وبا تضيق على الأمة وبا تشوف بعدين كيف تضيق الشحر، لأن معاد حد بايستانس يبني خارج السور، وباتروح شوارع الشحر الواسعة وساحاتها الكبيرة التي ما يوجد مثلها في عموم اليمن ويا ريتك باتقضي لنفسك أو للناس غرض بهذه المضايقات ما غير خذ بندق وهت بندق وخذ مفتول وهت مفتول.

الجمعـدار: أنت تعرف كيف صار حال آل بريك؟

باحبـــارة: آل بريك حكموا الشحر أكثر من ١٢٠ سنة (٨) ولا قد يوم بنوا سور حول الشحر وهذا السور القديم الذي على جانب من الشحر ما حد يفهم من أقامه ولم يهتموا به الناس لأنهم ما رأوا فائدة فيه. ولكن الذي أزال آل بريك هي الفتن التي قامت بينهم وكل واحد منهم صار يكيد للثاني

في أيامهم الأخيرة ولهذا ذهبت ريحهم، وأهل الشحر يفهمون تاريخ آل بريك بالوفاء والتمام، لذلك التقمهم آل كثير وشرد علي ناجي من الشحر وأخوانه يضحكون عليه، وإن حد تأسف على علي ناجي هم أهل الشحر وليس آل بريك! حكمة إلهية! والدنيا يوم لك ويوم عليك!!

الجمعدار: وإيش تشوف؟ الإنسان أحسن له ينام في رقة وإلا في بيت آمن؟

باحبارة: تقصد يوم يكون في بلاد مسورة أو في بلاد غير مسورة، أليس كذلك؟

الجمعدار: نعم!

باحبارة: أنا قد جاوبت على مثل هذا السؤال، لكن أزيد وأقولك أفرض إنك أقمت سور على الشحر واستمرت العداوات بينكم وبين آل كثير والبادية، أفرض هذا! فمن هو الذي بايحمي أهالي الشحر عندما يخرجون البرور أيام الخريف؟ من بايحمي القوافل الداخلة إلى الشحر والخارجة منها؟ من بايحمي صيادي الشحر الذين يبرحون وزيفهم في مقره وفي شحير وفي المكلا؟ تحت رحمة من سيكون هؤلاء؟ إذا

أقمت أنت السور في الشحر باتزيد المصائب على الناس الذين ذكرتهم لك، هت قل لي إيش هي البلد المسورة في عموم حضرموت؟ لا تريم ولا سيئون ولا شبام، ولا الهجرين ولا غيرها مسورة وإن شيء فيها أسوار فهي عبارة عن جدران صغيرة تربط بين الديار ومع ذلك فنومهم قفز، والسبب الفتن بين الحكام والقبائل.. العقل راح و(الضرب في الغنم والقبائل سلم) كما يقول المثل الحضرمي، وأنت يا جمعدار تربيت في الهند وتفهم هذه الأمور لأنها بلاد منظومة!

الجمعـدار: (وقد بدأ يشعر بالهزيمة وأخذ طبعه يحتد) من سمع كلامك يا باحبارة ما با يشك أبداً إنك جاسوس كثيري!!

باحبـــارة: جزاك الله خير يا جمعدار! صدق من قال: النصيحة أحياناً فضيحة!

الجمعـدار: اسمع يا باحبارة، السور با يقوم حول المدينة وبا تعملون أنت وغيرك بالجميل أو بالصميل!

باحبــارة: أنت دولة وكله تقدر عليه.

الجمعـدار: يعني تتهكم بي؟

باحبــــارة: أنا يا جمعدار من يوم خلقت وعلى لساني لجام، والكلمة أوزنها قبل ما أقولها!

الجمعـدار: أنت قليل خير وأنا غلطان عندما شاورتك!!

باحبــــارة: على كل حال ما قلته أنا ما هو فرض عليك، وإذا ما أعجبك كلامي اتركه!

الجمعـدار: أنا كنت أظنكم ناس عقال تفهمون الكلام ولكن الآن فهمت أنكم حمير!

باحبــــارة: جزاك الله خير يا جمعدار!

الجمعـدار: (يوجه كلامه لابن سعد وعصب) إيش تقولون أنتم يا ابن سعد ويا عصب؟

عصــــب: ما قاله الوالد حمد هو عين الصواب!

ابن سعـد: أنا نؤيد كل ما قاله المقدم أحمد باحبارة، ولا معنا غيره!

الجمعـدار: (محتداً.. يجذب الشبكة من يد باحبارة.. ويكورها كالكرة ويلقي بها بشدة في وجه المقدم باحبارة)

الجمعـدار: (مخاطباً باحبارة) يا كلب! أنا عرفت الآن أنك حنش في جراب!

باحبــــارة: (واضعاً يده على وجهه متألماً من الضربة) حسبي الله ونعم

الوكيل! حسبي الله ونعم الوكيل!

بن هرهرة: يا جمعدار عوض، الجماعة أنت طلبتهم للمشاورة وهم أعطوك رأيهم وإذا كان ما أعجبك الرأي لا يصح أن تعامل الشيبة باحبارة هكذا هذه إهانة له ولنا!

الجمعـدار: (ينظر إلى بن هرهرة بقسوة برهة، ثم يغادر القاعة).

(يسود الصمت المكان.. ثم يدخل أحد الجند وينادي على المقدم بلال).

الجنـــدي: يا مقدم بلال! الجمعدار يطلبك!

بــــــلال: (يقوم ويغادر، وبعد برهة يعود) ويقول للجميع: إن الجمعدار سمح لكم بالخروج، وإنه أمر أن يؤخذ باحبارة وعصب وابن سعد إلى السجن الآن!

بن هرهرة: مجنون! مجنون الجمعدار! هيا با نشوف إلى أين يصل بهذا الطبع السيئ الذي يرونه أهل الشحر منه لأول مرة (يوجه كلامه إلى باحبارة وعصب وابن سعد) الصبر! الصبر ياجماعة! ما با يكون إلا خير!

ستار

****

المشهد الثالث

الراويـــــة يتحـــدث: بعد أن أودع الجمعدار عوض المقادمة باحبارة وعصب وابن سعد السجن ساد الشحر جو من الإرهاب والتوتر الشديد، وأخذ الناس يتهامسون بما جرى بين الجمعدار والمقادمة المذكورين في كل موضع ولم تقم زيارة سالم بن عمر العطاس في تلك السنة، وانطلقت في المدينة إشاعات من كل نوع، منها أن الجمعدار عوض أصيب بالجنون وأنه جلب يهودياً من عدن ليعمل (صروف) لمقادمة يافع الذين لم يؤيدوه في أعماله التعسفية وأنه سوف يقتل المقادمة!!

وازدادت الحالة النفسية في البلد سوءاً [1] عندما ألقى الجمعدار القبض على عمر أحمد حمدة أحد[2] الدلل المعروفين في الشحر وأودعه السجن بعد أيام من سجن المقادمة وقد أشاع أنصار الجمعدار أن حمّدة تعاون مع آل كثير عندما اقتحموا الشحر في آخر شهر رجب ١٢٨٤هـ وأنه زودهم بما كانوا يحتاجون إليه من تمر.

وأطلق أهالي الشحر لقب (عصاة فرعون) على الجمعدار عوض.

وكان أطفال الشحر يرتجزون في الأزقة بأغانٍ منها قولهم:

(السلطان يبكي على الضان)

(يا شجرة الدبان كلمينا   وكلمي السلطان لا يجينا)

(مقدمنا شعيطور   وبن دحمان دولة)

وكان الجنود يلقون القبض على آباء الأطفال الذين يجدونهم يرتجزون بالأغاني سالفة الذكر ويسجنونهم ويجلدون البعض منهم.

وكان وراء الأراجيز الساخرة من الجمعدار عوض الشاعر الشعبي عمر كرامة بارمادة [٣] وهو الذي كان يلقي إلى بعض الأطفال بكلماته، ثم تسري بين أطفال البلد سريان النار في الهشيم.

في غرفة متواضعة في دار الشاعر الشعبي عمر كرامة بارمادة في حافة المحضار، اجتمع في إحدى الأمسيات الأشخاص الآتي ذكرهم:

١ـ عوض سالم باتكَة الملقب (الصميل) رئيس النجارين بالشحر.

٢ـ المعلم عبد الله باحجر رئيس البنائين في الشحر.

٣ـ عبود عمر مقرم، مقدم الجمّالة بميناء الشحر.

٤ـ كرامة السكوتي، مساعد عبود مقرم.

٥ـ جمعان صحاليل، رئيس أرباب الإبل العاملة في النقل داخل المدينة.

٦ـ عبد الله فرج غرنوق، مقدم حمالة الميناء بالشحر.

٧ـ عمر كرامة بارمادة، عامل بناء وشاعر شعبي.

باحجر: سمعتوا الفضيحة ذي عملها الجمعدار في المقادمة وفي الدّلال حمدة؟

مقرم: وعاده با يحبسكم كلكم يا أهل الشحر على نفر نفر.

بارمادة: وعادنا سمعت خبر!

الصميل: إيش هو؟!

بارمادة: (متهكماً) يقولون الجمعدار كتب على باب المحباسة: وما منكم إلا واردها (يضحك الجميع) لا تضحكون.. وكتب على الباب الداخلي للمحباسة: الآخرة خير وأبقى (يضج الجميع بالضحك).

الصميل: يا بارمادة تعوذ من إبليس وخل الكركسة..

بارمادة: وعادنا سمعت ثاني..

الصميل: إيش هو؟

بارمـــادة: يقولون الجمعدار جاب يهود من صنعاء يعملون حروز لزوجاتكم لأجل يخلونهن يروحن بدون حسوس إلى الحصن وبا يقع هناك يا عبيد لقط الغاسي!!

بــاحجـر: والعياذ بالله!

بارمـــادة: معاد فيها يا معلم والعياذ بالله! ما غير با تخرج بكرة تعمل في السور وعينك في الخل!

الصميــل: (محتداً) والله لا أخرج عامل!

مقـــــرم: اسمعوا.. المقدم باحبارة أخبر الجمعدار بكل شيء عن السور الجديد ولكنهم معاد تكلموا في موضوع السخرة.. إيش تقولون أنتم في السخرة؟

الصــميل: السور إذا با يبنيه الجمعدار وبا يتجاهل نصائح المقدم باحبارة نحن لا اعتراض لدينا على ذلك الحصاة من الأرض والدم من رأسه! أما العمل سخرة والله لو يقع الجمعدار كما جبل ضبضب ويتدحرج فوق الشحر وأهلها يسحقهم سحيق، ما حد با يعمل!

بـــاحجر: لكن ذا الكلام يريد حركة منكم.. ما هو جالسين هنا تسمعون تراكيب بارمادة وتضحكون! شوفوا المسموع أن

الجمعدار با يعمل تطروبة في البلد لأجل يخرج الناس كلهم يكسرون السور القديم وهذا بداية العمل في السور الجديد!

مقـــــرم: ياسهلاه! إذا كان ألا تكسير السور القديم أهل البلد با يعطونه ثلاث أو أربع أيام وبا يخلونه كان، لكن هاتوا في بناء السور الجديد الذي با يوخد سنين ومنين، عمل كم أيام بلاش.. أمره سهل، وقد أهل البلد والفين عليه.

غـرنــوق: نقول لك ما حد با يعمل في السور الجديد بدون أجر!

الصـــميل: كلام الجمعدار ما با يمشي! وعلي أنا وغرنوق والسكوتي أن ندرج على جميع العمال هذه الليلة ونعطيهم خبر! أقول لكم والله ما أبو واحد سرح يعمل في شغل الجمعدار في السور الجديد، وذه الجمعدار عادها تدخن في رأسه!

بـارمــادة: قل له هت لك رويلة (٤) من الهند يبنون السور الجديد.

بــــاحجر: اسمعوا.. كيه خلوا الهرجلة حقكم! هاتوا نريد نتفق على شيء محزور ولأجل ندرج على عمال البلد جميعهم.. لابد تكون الكلمة واحدة على شيء معروف من هنا!

مقـــــرم: نحن اتفقنا على عدم العمل في السور إلا بالأجر الكامل،

كل العمال!

باحجر: إيش تقولون يا جماعة في كلام مقرم؟

الجميع: موافقين!

باحجر: ياالله ختموها بالصلاة على النبي، والآن دورك يا الصميل!

الصميل: طيار هذه الليلة وكل عامل عنده خبر ما يمكن حد يوافق أبداً على العمل في السور الجديد بدون أجر كامل.

باحجر: وافي عليك.

بارمادة: ولو تمطر ضواون وكلاب.

باحجر: يا بارمادة با تترك الشيطنة حقك!!

مقرم: هل سمعتوا خبر يافع والحاشية؟

باحجر: سمعنا أنهم مقسومين قسمين قسم معنا وقسم مع الجمعدار.. ومن أبرز الناس المعارضين للجمعدار الشيخ ناصر بن صالح بن الشيخ علي بن هرهرة صاحب مسجد مدرسة السوق، وهو كما تعرفون صديق المقدم باحبارة، ويقول الشيخ ناصر ما يحتاج بناء سور أبداً حول الشحر لأن هذا با يفسد معنوية الجنود.

بارمادة: الشيخ ناصر إنسان عالم كبير ولكنه ملقمها ملح..

باحجر: لله دره!

الصميل: هذا الانقسام في صفوف يافع والحاشية علينا أن نستغله لصالحنا إلى أبعد الحدود وأنا عادنا با اتصل بالشيخ ناصر وبا فهمه الذي اتفقنا عليه لأجل لا يقول أن نحنا نعمل أشياء يجهلها.. الرجل مخلص معنا على الحق.

غرنوق: وأنا سمعت أن علي ناصر بن بريك في صف الشيخ ناصر وهو من المؤيدين للمقدم باحبارة.

الصميل: أنا با أسري هذه الليلة لعلي بن ناصر بن بريك وبا وضح له كل شيء!

بارمادة: كيف يا الصميل لو حد من العمال فزع ووافق الجمعدار؟

الصميل: باذبحه كما الشاه! ذي قضية عمال الشحر كلهم ما هي قضية ناس دون ناس.

باحجر: وعيال عفتور؟

الصميل: أنا با اتصل بآل برعود وآل باناعمة وآل عبيدون أهالي دفيقة ما يمكن يخلون واحد يشل قربة ماء لعمل السور الجديد، لا تخاف أهل دفيقة مننا وإلينا يا أهل عقل باعوين.

باحجر: تم الكلام!

الصـــميل: يا الله قمنا! أنت يا كرامة السكوتي وأنت يا غرنوق، ويقولوا من خدمها ليل شكرها نهار!

السكـوتي: توكلنا على الله، أنا با سري إلى دفيقة عند الفلاحين!

غـرنـوق: وأنا علي جميع عقل باغريب والرملة والحوطة والخور.

الصـــميل: وأنا علي عقل باعوين والمجرف والقرية والمجورة.. وعلي الاتصال بالشيخ ناصر وعلي بن ناصر بن بريك.. يا الله سرى!

بـــاحجر: اسمعوا.. لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة! شوفوا عيون الجمعدار في كل مكان.. انتبهوا!

بارمـــادة: با يكون وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً!! والوعد القابلة عندي هنا في البيت!

الصـــميل: معاد فيها حكة رأس! يا الله يا جماعة سرى!

(يغادر الصميل والسكوتي وغرنوق)

بـــاحجر: أنا مطمئن! ما دام الصميل في الطبخة.. قل با تخرج ناجحة!!

مقـــــرم: صحيح رجال مخلص كثير مع العمال يا ريت في الشحر ثلاثة أو أربعة كماه! وكذلك السكوتي وغرنوق.. كلهم

رجال فعل!

بـــاحجر: بارك الله في الرجال! يا جماعة الجمعدار ذه ما حد عنده يراجعه لا؟

بارمـــادة: بغيت من يراجعه؟! لو هو إنسان عاقل ما خلا رجال الجيش حقه وقادتهم ضده!

مقـــرم: عاد معي كلام.

بـارمـادة: إيش هو؟

مقـــرم: أنتو يا شعار الشحر نريدكم تتركون الكلام القديم، حق يا طبيني ما أسخا بك يا طبيني أدعي لك، ومنها أمات خمس، وغير ذلك من المدح الغير لائق في الحكام!

صحاليـل: كيف ما سمعت ذي قال بارماده البارح في السمر؟

مقـــرم: إيش قال؟

صحاليـل: بارماده ذي الأيام يغرف من بير جديدة!

بـاحجـر: هاتوا سمعونا!

بارمـــادة: البارح وقعت سمرة في بيت جمعان صحاليل وحضر المغني محفوظ باعكابة من الحوطة.. والكلام كان كله يدور حول الجمعدار وما يعتزمه من تسخير العمال في عمل السور!

باحجر: فهمنا! لكن أنت إيش قلت؟

بارمادة: قلت:

عصاة فرعون في ذا الوقت يا محفوظ (٥)

فاقت عصا موسى قصدها قهرك

عند الكيالة تخلي كيسك المنخوض

وإن تذكر الأجر با تجلدك في ظهرك

أو شهر في الحبس أن كانك فتى محظوظ

أما الكلام الوطيء ما يكون من قدرك

إلحس صوابك وداوي عظمك المرضوض

وإيش با تلقي إذا قد عاندك دهرك

با يجي زمن با يقع أمرك هو المفروض

با تنشر الشحر بنديرة على نصرك

باحجر: حياك يا بو كرامة! قلت إيش با يجي زمن؟!

بارمادة: **با يجي زمن با يقع أمرك هو المفروض**

با تنشر الشحر بنديرة على نصرك

باحجر: فال زين!!با نفرض أمرنا على الجمعدار إن شاء الله!!

صحاليل: وإيش يا عمر قلت: نا عبد وابني عبد؟!

بـارمــادة: نعم قلت:

نا عبـد وابنـي عبـد وابنـي ذي مكانـه بطـن أمـه

وابنـي الـذي في عـالم الـذر مثـل أخوالـه وعمـه

عبيد من كلوه ويا ساحب سحب لا وسـط كمـه

في العيد يذبحنا وجدي قد زحـق لحمـه وعظمـه

وخوي قد خلا العراوس خضّبن مـن سـيل دمـه

مقـــــرم: الله أكبر عليك يا بارمادةّ لو سمع الجمعدار هذه الأبيات با يطرحك في فم المدفع!

بـــــاحجر: لكن يا عبود بالله شف بالله المعنى حق: وخوي قد خلا العراوس خضّبن من سيل دمه.

مقـــــرم: فهمته! يعني بارمادة إن الجمعدار من جور الظلم حقه خلا العراوس يخضبن من دماء إخوانهن وآبائهن.

بـــاحجـر: ذه الكلام رمح في ظهر الجمعدار، الله يخزيه!

بارمـــــادة: لكن أنا عجبنا شعر قاله ابن جبران البطاطي [٦] في السمرة وابن جبران هذا صاحبنا ومن المعارضين للجمعدار.

مقـــــرم: إيش قال؟

بـارمـادة: قال:

يا ديك باب العرش كسرت الجنـاح

وأنت الذي تسرح وتضوي عالجناح

كـل مــن تعـــوج باتـرده للسـماح

وأنتـه عـواجـك مـن يرده للسماح؟

بـــاحجـر: مفهوم المعنى، إيش تقول يا عبود؟

مقـــــرم: واضح! يعني أنه دخل في عداوة مع قادة جيشه وحكمه كله معتمد عليهم!

بارمـــادة: لا ما يقصد ابن جبران هذا! يقصد إن عمران الشحر كله معتمد على العمال وإن عداوته مع العمال تعني خراب الشحر وخرابه هو قبل كل شيء.

بـــاحجر: كل هذا وارد، وهو في مصلحتنا سواء كان المعنى الأول أو المعنى الثاني فهو لم يعاد إلا القادة الذين وقفوا إلى صفنا، وعلى كل حال فإن ترابطنا نحن يا العمال هو الذي با يرد عواج الجمعدار إلى السماح.

(يدك [٧] على الباب شخص بعنف.. فينزعج الحاضرون.. فيدلهم بارمادة على باب خلفي في بيته.. فيخرجون منه

ويبقى هو بمفرده، ويتقدم نحو الباب فيفتحه.. فيدخل ثلاثة من حاشية السلطان) ويقول أحدهم لبارمادة إيش معكم هنا يا حمير!

بـارمــادة: (مخاطباً أحد أفراد الحاشية) من تقصد؟

المملــوك: من عندك هنا في البيت؟

بـارمــادة: عندي أهلي وأولادي.

المملــوك: ما أحد ثاني؟

بـارمــادة: (متجاهلاً سؤال المملوك) الله سبحانه وتعالى!

المملــوك: أين الصميل؟

بـارمــادة: الصميل من؟

المملــوك: باتكة ، عوض سالم!

بـارمــادة: لا أعرفه.

المملــوك: عندنا خبر أكيد إن عندك جماعة يريدهم الجمعدار. (يدفع بارمادة في صدره فيقع على الأرض، ويمضي المملوك فيدخل الجناح الآخر من البيت ويلحق به المملوكان الآخران، وبعد برهة يعودون إلى المكان الذي فيه الشاعر بارمادة).

العفو يا عمر سامح نحن الجمعدار حصل خبر الظاهر إنه غلط.

بارمـــادة: كيف أسامحكم وأنتو فزعتوا عيالي ودهفتونا إلى أن سقطت على الأرض.. لكن مسامحين!

المملـــوك: ذي قدها رابع دار ندخلها ندور على الصميل ولا وجدناه!

بـارمـــادة: من هو هذا الصميل.. اسم عجيب! غير ما صمل حد؟

المملـــوك: سيدي عوض بغاه من كل بد!!

بارمـــادة: يا بختك يا الصميل، ما يقع الجمعدار با يعطيه كسوة دسمال من بونة شلونا أنا بدل الصميل إلى عند الجمعدار شوفوا فيّ الجوع والصدوع.. وبا يقع: ولكم النصف!!

المملـــوك: (مغتاظاً) (٨) هيا اسكت يا ود سوق! اسكت يا جعيل!

(يخرج الثلاثة المماليك.. فيستوقفهم بارمادة).

بارمـــادة: سمعوا.. أنتو من الحاشية الموالدة في حضرموت.. يعني حضارم تعرفون الكلام كله! إيش رأيكم في..

(يتجاهل المماليك الثلاثة كلام بارمادة ويغادرون المنزل لا يلوون على شيء).

بارمـــادة: (بعد أن أقفل الباب خلف المماليك الثلاثة)

مساكين حاشية الشيبة! قالوا بغوا الصميل!

(يضحك بارمادة بملء فيه ويستمر في الضحك إلى أن يسدل الستار).

ستار

****

المشهد الرابع

(نفس القاعة بدار ناصر بالشحر الواردة في المشهد الثاني..
الجمعدار عوض في حالة غضب شديد يروح ويجيء في القاعة ويداه منعقدتان خلف ظهره، ويحمل في إحدى يديه ورقة في حجم الفولسكاب).

الجمعـدار: (منادياً) يا بلال! يا مقدم بلال!

بـــــلال: (يدخل القاعة) لبيك يا سيدي [1] عوض!

الجمعـدار: إلى الآن! إلى الآن ما حضروا الجماعة؟

بـــــلال: يا سيدي [2] عوض الجماعة خبرهم معهم من البارح (يغادر القاعة ثم يعود مسرعاً) [3] .

الجمعـدار: يا الله! يا الله! (يظل في مشيته ومن حين لآخر يلقي نظرة عابرة على محتويات الورقة التي يحملها، ويغمغم بكلمات غير مفهومة وكأنه يشتم أحداً).

بـــــلال: (يدخل القاعة) وصلوا! يا سيد عوض!

الجمعـدار: (منفعلاً وبصوت عال) من هم؟

بـــــلال: المقادمة عوض المصلي، وسالم بن علي بن هرهرة، وأحمد عبد الله بوبك!

الجمعـدار: دعهم يدخلون في الحال!

(يدخل المقادمة الثلاثة متزيين باللباس المعروف وكل واحد متمنطق بجنبيتة في وسطه.. يحيون الجمعدار.. فيرد تحيتهم دون أن يلتفت إليهم.. ثم يأمرهم بالجلوس ويظل واقفاً).

الجمعـدار: (يلوح بالورقة في وجوههم) قولوا إيش معنى هذه العريضة التي قدمتموها إلي؟ إذا كنتم أنتم مقادمة جيشي تعملون هكذا فعلى من أعتمد؟ افهموا يا جماعة هؤلاء الجعلة في الشحر عاملين نار في قرن حمار، ومعارضين شيء في مصلحتكم أنتم يا يافع، وهو فكرة العمل التطوعي في بناء السور فهل أنتم لا زلتم تؤيدونهم؟!

بن هرهرة: نحن نرى أن عمال الشحر على حق وفرق كبير يا جمعدار بين العمل التطوعي وبين عمل السخرة، أنت تريد أن تسخرهم سنين طويلة، ولو كانت المسألة أيام أو أسبوع أو أسبوعين لهان الأمر، وقد أهل الشحر متعودين على العمل التطوعي في شئون بلادهم في أفراح وأحزان وحريق وغريق بدون أجر لكن الذي تطلبه أنت شيء ما أحد يقدر عليه ولا أحد با يوافقك عليه من يافع أو من الحاشية، إيش

من فائدة لنا لما يعمل العمال في الشحر بدون أجر وأهلهم يموتون جوعاً؟!

الجمعـدار: أنتم يا يافع يا مواليد حضرموت والشحر أفسدكم تامبول المعدي وميادع تبالة، أصبحتم مثل أهل الشحر تمام؟

بن هرهرة: لماذا لا تقول خمر ميادع تبالة وتخلي التهمة كاملة؟ نحن نقول لك الحق ولا با نؤيدك على الذي ما هو سواء.

الجمعـدار: أنا أصدرت لأهل البلاد أمراً أول أمس ليخرجوا جميعهم باستثناء السادة والبانيان لتكسير السور القديم، ولم يخرج إلا بعض الأطفال أما الرجال لم يخرج منهم أحد بعضهم اعتذر بأعذار سخيفة وبعضهم جعل المناسبة فرصة للضحك علي!

بـوبـــك: للضحك عليك؟

الجمعـدار: نعم للضحك والمسخرة على دولتكم (ينادي) يا بلال!

بـــــلال: (يدخل القاعة) لبيك سيدي عوض!

الجمعـدار: ادخل بباعرام إلى هنا!

بـــــلال: أمرك سيدي عوض (ينصرف)

الجمعـدار: هل تعلمون من وراء هذا التمرد والاستخفاف بمقامنا؟

المصـــــلي: الذي نعلمه أن أهالي الشحر جميعهم يعارضون فكرة السخرة!

الجمعـدار: لا.. ستة أشخاص فقط، ستة فقط (يخرج ورقة من جيب سترته ويقرأ) عوض سالم باتكة الملقب بالصميل، وعبود عمر مقرم وكرامة السكوتي وجمعان صحاليل والمعلم عبد الله باحجر وعبد الله فرج غرنوق.

وهل تدرون من أخبث ثلاثة في أولئك الستة؟ (يرد على نفسه) أخبث ثلاثة هم الصميل وغرنوق والسكوتي..

وهل تدرون من ألعن واحد في هؤلاء الثلاثة؟ (ويجيب على نفسه) إنه الصميل.. الصميل الحمار الكلب.

هؤلاء الستة الأشخاص هم وراء تحزبات العمال ضدي!

(يدخل القاعة بلال ووراءه شخص طاعن في السن بلحيه بيضاء يلبس لانقوطي وشميز من قماش شاش رهيف بكمين طويلين وعلى رأسه عمامة بيضاء مكورة على رأسه، وعلى جبهته علامة حمراء).

الجمعـدار: (ينظر بتعجب إلى الشخص الداخل) قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تشوفون يا جماعة مصائب أهل الشحر؟

المقادمــة: (يضحكون من الشيخ الداخل).

الجمعـدار: (مخاطباً الشيخ) من أنت يا وجه إبليس؟

الشيـــخ: أنا يا طبين سلطان جمعدار، أنا أبوك سالم سعيد باعرام!

الجمعـدار: الجمعدار: من أهل الشحر؟

بــــاعرام: من ساسها وعماسها صفه قفا صفه نعم يا سلطان طبين جمعدار.

المقادمــة: (يضجون بالضحك).

الجمعـدار: عندك بيت في الشحر؟ وإيش عملك؟

بــــاعرام: بيت عندي بأركانه الأربعة بين دار ناجي عبد الله بن بريك ودار آل يزيد بحافة عمرو المحروسة وشغلي حيك يا جمعدار طبين سلطان!

الجمعـدار: أنت تتمسخر علي يا الحمار؟

بــــاعرام: (يقبض على طرف لحيته) حشا! حشا على أبوك الشيبة أنا إنسان على توي سابي دابي في عملي ولا لي في الديم ولا في الطراف يا جمعدار سلطان طبين!

الجمعـدار: لماذا لابس هذا اللباس المضحك؟

بــــاعرام: هذا لباس حشيم حق واحد بانيان صاحبي وأنا لبسته

لأنك أنت السبب يا جمعدار طبين سلطان!!

الجمعـدار: أنا؟!

بـــاعرام: أنت بكورك يا جمعدار سلطان طبين!

الجمعـدار: ليش؟

بـــاعرام: لأنك عملت تطروبة في الشحر أول أمس وقلت على كل أهل البلد يخرجون للعمل في تكسير السور الدويل إلا السادة والبانيان، وأنا إنسان شيبة كما تشوفنا ما أقدر أخرج للعمل في تكسير الأدوار وما معي إلا نقع بانيان لأجل لا نخرج للعمل. وقعدت يا الله بالعافية فوق الدكة حقنا بعد العصر وعبروا عسكر وقبضونا يوم ما خرجت للعمل وطرحونا في الحبس يوم وليلة وقالوا أنا متهكم بالدولة، وأنا يا سلطان جمعدار طبين نحب الدولة وخايف منها تجي فوقي.

الجمعـدار: ليش ما وقعت سيد؟

بـــاعرام: يا غارة الله! ما لو وقعت سيد بتقوم القيامة علي!

الجمعـدار: من السادة؟

بـــاعرام: لا.. من إخواني وعيال عمي المساكين ناس تربوا على الذل

والمسكنة!!

الجمعـدار: وليش تدعيني سلطان طبين جمعدار؟ يعني تتهكم بي؟

بـــاعرام: حاشا الله! وحاشا جوده وكرمه! أبوك سالم إنسان عاقل ولكن واحد من الحاشية من أهل الشوكي قال لي قبل ما نطلع عندك اليوم الحذر تقول لعوض بن عمر يا أباه عوض! لكن قل له كذا وكذا، وجاب لي كلمة معاد نا مداري هي جمعدار هي سلطان هي طبين! ولهذا ترانا نقول الثلاث الكلم وأنت ذي يعجبك منهن شلها وخل الباقيات! أبوك سالم من أهل الله سامحه إن غلط! لكنها أسماء شيطانية نسأل الله السلامة والعافية منها! نحنا كنا نقول لآل بريك يا أباه فلان وهم مبسوطين غاية ونهاية لما نقول لهم كذا.

الجمعـدار: (ضاحكاً) شف يا أبا عرام.. أنت إنسان متكركس.. وأنا أعرف أن الصميل باتكة هو الذي علمك تقول هكذا.

بـــاعرام: حاشا لله يا طبين سلطان جمعدار! الصميل ولدنا ومن حافتنا حافة عمرو المحروسة، الله يبارك فيك!! الصميل رجال ناصح مع أهله واخوانه! رجل عليه العمد!

الجمعـدار: هكذا!

بـــاعرام: عادنا باطرح رزحة عالكلام هذا.. ذه كلام أبوك سالم معاد فيه تيني ولا ويني.

الجمعـدار: من اليوم وشل قل يا جمعدار عوض بس!

بـــاعرام: آمنا وصدقنا، معاد باتسمع غيرها من أبوك سالم يا طبين سلطان جمعدار!

الجمعـدار: أقول لك لا تقول لي سلطان طبين جمعدار! إيش ما تفهم؟

بـــاعرام: العفو يا ولدي! العفو ياجمعدار!

الجمعـدار: (ينادي) يا بلال!

بـــلال: (يدخل القاعة) لبيك يا سيدي عوض.

الجمعـدار: خذ باعرام وقل للكاتب عبود أحمد حميد يعطيه خمسة قروش ويشتري له معوز وكمباية وقرمة وعمامة ورمان [٤] ولبس حذي، ولا تخلونه يروح دارهم إلا وهو لابس الكسوة الجديدة.. وامسحوا العلامة الحمراء من وجهه وخلوه يرد إلى البانيان صاحبه ثيابه.

بـــاعرام: جزاك الله خير يا أباه عوض! وعادنا نخرج للشغل في الدور؟

الجمعـدار: لا، معفي من العمل في السور! (يوجه الحديث لبلال) يالله شل الوالد سالم (يخرج بلال ممسكاً بيد باعرام) ثم يلتفت باعرام إلى الجمعدار ويقول: شف ياجمعدار عوض ناس جم في الشحر مثلي شيابه وعجاوز وأمراض! تكلموا مع باسيف لما يطرب يخرج الناس القادرين على العمل!

الجمعـدار: صدقت بانكلمه.

(يخرج باعرام)

الجمعـدار: يضحك هو ومقادمة يافع ثم يقول:

شر المصائب ما يضحك! هذه مصائب أهل الشحر يا ويل الواحد إذا بغضوه أهل الشحر! وعادكم ما دريتوا بشيء!!

المصـــلي: خير إن شاء الله!

الجمعـدار: أقول لكم أهل الشحر يحاربونا بكل الأسلحة الظاهرة والخفية .

بن هرهرة: إيش جرى!

بـوبـــك: وإيش من أسلحة مع أهل الشحر غير ألسنهم؟!

الجمعـدار: هذه الألسن أسلحة فتاكة (يخرج ورقة من جيب سترته.. ينظر إلى الورقة) اسمعوا هذه الأبيات:

لا الأرض أرضك بها روعك بدر

ولا السماء ذي بناها الله سماك

ولا أنته المصطفى خير البشر

ولا سليمان نتمنى رضاك

كودك إذا طال عمرك واستمر

وزان وقتك تجيب ألا عشاك

المقادمة: (مستغربين) من قائل هذه الأبيات؟

الجمعدار: واحد يقولون له عمر كرامة بارمادة.. واحد من العمال!

المصلي: كيف وصلت إليك ياجمعدار؟

الجمعدار: هذه الورقة جاءت بها حرمة صباح اليوم إلى الحصن وأعطتها واحدة من الجوار، وقالت لها إنها عريضة من زوجة المقدم باحبارة الجارية سلمت لي الورقة، ثم بعد أن قرأتها أرسلت الجارية إلى دار باحبارة وعادت الجارية تقول إن زوجة باحبارة قد توفيت قبل سبع سنوات ثم أرسلتها بالورقة إلى سعيد مبارك بازهدة وهو أكثر أهل الشحر حفظاً واطلاعاً على الأشعار وقلت للجارية أن تسأل بازهدة عن قائل هذه الأبيات دون أن تخبره أنني أنا من

أرسلها إليه فعادت تقول إن بازهدة قال إن قائل هذه الأبيات بارمادة.

بن هرهرة: ومن الذي أرسلها إليك؟

الجمعـدار: هذا الذي لم أفهمه والحرمة التي جاءت بالورقة إلى الحصن حرمة غير معروفة عندهم..

بن هرهرة: يمكن بارماده قال الأبيات في موضوع خاص!

الجمعـدار: خاص من يا سالم؟ أنت تعبر عليك هذه الملعنة.. بارمادة يقصدنا ولا يقصد أحد غيري..

بـويـــك: على كل حال كلام يروح في الهواء!

الجمعـدار: هذه الأشعار إذا حفظت ودونت تدوم آلاف السنين بعد الذي قالوها والذين قيلت فيهم، أنا في الهند قرأت بعض أشعار الهندوكيين لها أكثر من ثلاثة آلاف سنة وهي سب وشتم في الحكام وفي رجال الدين وفي التجار! أنتم لا تعرفون قيمة هذه الأشعار الشعبية وغير الشعبية، أنا لازم أبحث عن شاعر أو أكثر أجعله شاعر المقام وبا أجزل له العطاء.

بن هرهرة: على كل حال أهل الشحر ناس طيبين ولكنهم يشعرون

بالظلم والذي يشعر بالظلم كل شيء يصدر منه! ونحن نعذرهم!

الجمعـدار: وأنتم إيش معكم؟

بن هرهرة: الذي معنا مذكور في عريضتنا التي قدمناها إليك وتتلخص في ثلاثة أمور:

١ـ إطلاق سراح عمر أحمد حمدة وإرجاع بيته المصادر وأمواله المحتجزة إليه.

٢ـ إطلاق سراح باحبارة وعصب وابن سعد.

٣ـ أن تعلن في السوق أن العمل في بناء السور الجديد با يكون بالأجرة الكاملة للعمال، هذه هي مطالبنا ولن نتزحزح عنها!

الجمعـدار: أنا عارف يا بن هرهرة إن هذا الكلام الذي في عريضتكم كتبه عمك ناصر، عمك ناصر جالس في مسجده، مسجد مدرسة السوق ويحرض جنودي يافع والحاشية ضدي ويكرر الآية الكريمة: (لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون).

المصلـــي: صدق الله العظيم.

الجمعـدار: (موجهاً [٥] الحديث إلى بن هرهرة) عمك ناصر يقصدنا بهذه الآية، إنه يتآمر علي مع أهل الشحر، وأنا سمعت أيضاً أن علي ناصر بن بريك ينشر دعاية عمك ناصر في المجالس وفوق الدكك، هؤلاء آل بريك قلال مروّة! نحن سامحناهم وردينا إليهم أموالهم وها هم يقومون بالدعايات والبلبلة ضدنا، إيش قصدهم! يريدوننا نتطاعن بيننا البين ونتقاتل؟

بن هرهرة: [٦]: أنت تفهم يا جمعدار إن عمي الشيخ ناصر بن صالح كان في طليعة المقاتلين في صفك عندما أخرجنا آل كثير من الشحر، ونحن آل الشيخ علي قتلوا منا في الشحر أحد عشر نفر من بينهم ابن الشيخ ناصر وابني وأخي وهذا تفهمه أنت! فمن منكم يا قعطة قتل في الشحر؟ ولا واحد!! كل يافع [٧] والحاشية فيهم المقتول والمجروح إلا أنتم يا قعطة! وعلى كل حال فنحن هنا لسنا في مقام تفاخر، ولكنا لن نؤيدك في تسخير العمال في بناء السور.

الجمعـدار: لو أنني استعملت الكرباج على عمال الشحر لأخرجتهم إلى العمل السخرة بدون مقاومة منهم.

بن هرهرة: تريد أن تقلد الراجات في الهند بالضرب بالكرباج؟! وأنت إذا استعملت الكرباج ضد أهل الشحر فإنك لن تأتي بشيء جديد إليهم! أهل الشحر كم قد قاسوا من قهر وظلم الحكام السابقين لقد صبروا على الجلد والقتل والسطو والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، وذهب كل الحكام إلى غير رجعة وبقى أهل الشحر يرددون ويستعيدون مساوئ الحكام ويضحكون منها ويشنعون عليها فهل تريدون يا قعطة أن تعيدوا مساوئ الحكام الذين سبقوكم في الشحر؟ إنكم لو فعلتم ذلك فمعنى ذلك أن أهل الشحر قد هزموكم، لا تظن أن الجلاد هو المنتصر، إن الجلاد هو أحد رجلين فهو إما ضعيف يخشى الزعزعة على حكمه أو أنه طامع فيما ليس له فيه حق. ولو نفهم أنكم ما با تكونون إلا جلادين في الشحر أو غير الشحر ضد المساكين العمال ما شهرنا سيوفنا معكم!

الجمعـدار: يبدو أنك زعلت كثير يا بن هرهرة!!

بن هرهرة: فعلاً! وإن كان قصدك يا جمعدار أن نظلم الناس فابحث لك عن جند آخرين! يعني نتحمل نحن مغبة الظلم وأنتم

لكم السلطنة! لا والله بئس سلطنة تقام على ظلم!

الجمعـدار: سبب هذه البلاوي كلها شخص واحد! واحد فقط هو الصميل باتكة.. هذا الرجل لازم ألقي القبض عليه وأحاكمه وأعدمه!

بن هرهرة: الصميل عود ما منه وقود! الصميل لو لم يناصره أهل الشحر لما كان له ذكر! أما محاكمته فيكفي ما شفنا وسمعنا من مهازل في محاكمة عمر أحمد حمدة البارح، مثل هذه المحاكم الطاغوتية تدينكم أنتم قبل أن تدين من تريدون محاكمتهم! لازم تفهم يا جمعدار أنك لن تقنع الناس ولا التاريخ بمثل هذه المحاكمات (الكورية) لأن كل واحد من أهل الشحر له سمع وبصر ويحكم على الأمور ليس من خلال تلفيقاتكم ولكن من خلال ما يقتنع هو بصحته، والناس في الشحر تفهم أنكم حاكمتم حمدة لأجل ترهبون العمال ليعملوا مجاناً في السور!

الجمعـدار: هل حضرت المحاكمة البارحة؟

بن هرهرة: نعم حضرتها.. حمدة يقول إن آل كثير اقتحموا بيته وأخذوا منه خمسين جراب تمر تحت التهديد بالسلاح والمحكمة

تقول إنه خائن وإنه تعاون مع آل كثير ومدهم بالتمر، ولم تقدم المحكمة دليلاً مقنعاً للناس، نحنا في الحقيقة لو كنا رجال ما خلينا آل كثير يدخلون الشحر ولكن نحن تخاذلنا ودخل آل كثير البلد بالقوة وكادوا يستولون عليها، بعد ذلك نقوم نحن ونحاكم الرعايا لأنهم فتحوا لآل كثير ديارهم!! يا جمعدار عاد الله با يراجعك! إيش يقدر حمدة أو غير حمدة يعمل وجيش فاتح يدك على سدة بيته؟ هل يقدر حمدة ما يفتح لهم الدار؟ وأنت تفهم إن حمدة رجل مسكين دلال يمكن حتى سكين البصل ما هي موجودة في بيته!

الجمعدار: (مغالطاً) حمدة متواطي مع آل جابر لأن أصله من حصن بن ضوبان!

بن هرهرة: حمدة له معاملات تجارية مع آل جابر أهل ساه، ويبيع لهم التمر في الشحر، ولا علاقة لهم بآل جابر أهل حصن بن ضوبان، ثم إن حمدة من أسرة قديمة في الشحر زوجة عمر حمدة من آل بطاط أهل السويري، وآل شملان أهل السويري حلفاء يافع والذين دخلوا بيت حمدة كانوا جماعة مسلحة من العوامر بقيادة مبارك بن كليلة وجماعة من آل

جابر أهل ساه بقيادة عائض بن قحيز ومع هؤلاء عدد من حاشية آل عبد الله على رأسهم بخيت مدفع، قدر خمسين نفر دخلوا دار حمدة، ومبارك بن كليلة طرح ذلق جنبيته في حنجرة حمدة وأمره أن يدله على مخزن التمر، بالله يا جماعة قولوا لنا إيش يقدر حمدة يعمل في مثل هذا الموقف؟!

أين يافع في تلك اللحظة؟! الكمين اليافعي الذي كان في دار آل بن سميط، وفيهم ابن عمي منصر بن سالم قد أباده آل كثير بالسلاح الأبيض، نحن لو نعرف إن حمدة توطأ مع آل كثير لقتلته أنا بيدي قبل ما تحبسه أنت أو تحاكمه.. الرجل بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وأنت يا جمعدار جعلت بن حمدة نصب لأجل أغراضك وطردت زوجته المسكينة وتحتها طفل صغير وحامل في شهرها السابع وأخذت ما فوقهم وما تحتهم، فراحت زوجته إلى دار أبيها قبلي قبة عبد الله بلحاج بافضل وزوجها في السجن يتألم من القهر! وفوق ذلك أنت تفهم إن الجيش الكثيري ناس كلهم فقراء ما شي تموينات عسكرية يصرفها عليهم غالب بن محسن، ما غير من معه قضمة طعام وإلا

لكده تمر طرحها في جرابه وسرح قدام الجيش وخلا عياله
يتعاوون من الجوع.. وقالوا شرع القبولة!! من أين يأكل
هذا الجيش؟ من ديار آل حمدة وأي دار أخرى فيها أكل؟
لماذا لم تسجنوا آل عيديد في حافة بلحاج عندما أخذ آل
كثير الرز والطعام من دارهم بالقوة مع أنهم ناس أغنياء
يعاودون السواحل؟ نعم لأن حمدة سترة قصيرة!!

الجمعدار: آه يا أهل الشحر! هزمتوني! وهزمتوا قادة جيشي! لعبتوا بنا لعب ما بعده!

بن هرهرة: معهم حق!

الجمعدار: لا بأس! الآن أنا مستعد أتصالح مع الصميل وأصحابه.. وأطلق حمدة من السجن وأعيد إليه داره وماله.. وأطلق المقادمة باحبارة وابن سعد وعصب، لأن عندي خبر مهم لكم!

المصلـي: إن شاء الله خير!

الجمعدار: من أين با يجي نحن الخير وآل كثير في الوجود.. آل كثير والعوالق وآل كساد أصحاب المكلا يخططون لأجل يهاجمون الشحر، ونحن في الحقيقة على استعداد لهم، ولكن

أرى من المهم أن نبني ثلاثة حصون بسرعة، واحد على هضبة المشراف وواحد منه إلى نجد على الجول الصغير والثالث على الجول الكبير، هذه الحصون با ترغم الزحف الكثيري أن يتجه إلى دفيقة ولا يتجه مباشرة إلى الشحر. فإذا ساروا إلى دفيقة سيكون باستطاعتنا حصرهم والقضاء عليهم، وفي نيتي أن نحفر بئر بين سدة العيدروس وهضبة المشراف وقد تكلمت مع الشيخ أحمد بن عبد الله باشراحيل باغميان أن يجمع تبرعات من تجار الشحر لحفر هذه البئر، البئر هذه أنا قد وعدت الشيخ أحمد أن نسميها غميانه اعترافاً بمجهوده، سوف تمد العمال في الحصون الثلاثة بالماء للعمل فيها لو أن آل كثير وصلوا إلى دفيقة قبل أن يكمل بناء الحصون يجب أن تبنى الحصون الثلاثة في مدى أسبوعين فقط، نجند كل عمال الشحر لهذا المشروع العسكري.

بن هرهرة: لن يعمل أهل الشحر ومقادمتهم في السجن وأنت تهددهم بالسخرة!

الجمعدار: روحوا أنتم الثلاثة وقولوا لهم أنني سوف أطلق هذا اليوم

من السجن عمر حمدة ومقادمة الحويف، وبا ردّ لحمدة أمواله وبا أعلن في السوق أن العمال سوف يعملون الآن في الحصون الثلاثة وكذا في السور فيما بعد بأجر كامل، مبسوطين؟!

بن هرهرة: مشكور، ولكن نريد ترضية لمقادمة الحويف أشبه بردّ اعتبار لهم.

الجمعدار: كم تريدون لكل واحد؟

المصلي: مائة ريال!

الجمعدار: موافق. (ينادي بلال) يا بلال!

بلال: (يدخل القاعة) لبيك سيدي عوض.

الجمعدار: أطلق سراح عمر حمدة، وباحبارة وعصب وابن سعد من السجن الآن!

بلال: جزاك الله خير يا جمعدار.. الآن بنفسي با روح إلى السجن وبا أطلق سراحهم.

الجمعدار: قبل ما تروح إلى السجن خذ ثلاثمائة ريال من الكاتب عبود أحمد حميد، وأعطي باحبارة مائة وعصب مائة وابن سعد مائة، وقل لهم هدية من الجمعدار واطلب لي العفو منهم!

بـــــلال: هِيْو الله سيدي عوض (ينطلق بلال إلى الخارج لأداء المهمة).

الجمعـدار: والآن أنتو يا مقادمة روحوا إلى مكتب الشيخ محمد سالم باهرمز واستصدروا منه أمراً بإعادة أموال حمدة إليه، وإعلاناً في السوق بشأن أجرة العمال.. ولكن.. دار حمدة ما بنقدر نردها إليه الآن لأن فيها آل النشادي أهل عرف وإنما با نبحث لآل النشادي عن سكن وبا نحولهم إليه ثم با نعيد الدار لحمدة (٨)! أوضحوا هذا للناس عندما تقابلونهم... يالله عمل! الموقف لا يحتمل المماطلة! أمامنا جيش قادم علينا من الصداع ويجب أن نجهز أنفسنا له من الآن..

المصلـــي: اطمئن سوف ننجز هذه المهمة بأسرع ما يمكن!

الجمعـدار: وعودوا إلي لأني سوف أعقد اجتماعاً موسعاً لقيادات يافع والحاشية بشأن الحملة الكثيرية القادمة!

بن هرهرة: مستعدين! سوف نعود إليك بعد صلاة العصر.

(يغادر المقادمة المكان)

الجمعـدار: (يذرع الغرفة كالأسد الذي في القفص)

يا الله! يا الله! يضع سره في أضعف خلقه! هكذا يا أهل

الشحر تهزمون عوض بن عمر؟ من يدري يمكن في الأمر
حكمة من الله عز وجل!!

تطفأ الأنوار وتدوّي التناصير في ساحة خشبة المسرح:

عمال غلابة كم استغلالي كسرنا نابه والله كم والله كم .. وي

تضاء الأنوار ويظهر كل الممثلين الذين اشتركوا في المسرحية بملابسهم المسرحية بما فيهم الجمعدار وغيره وينتظمون في رقصة الخابة بالهاجر والمراويس ويشلون الصوت القديم:

أين أهل الشنقحة

وأهل تنكيس العمائم

ساروا يوم شافوا الفصل بان

خير في الخرفة مخيم باقي ما بهم جور الزمان (٩)

(يدورون على خشبة المسرح ثلاث دورات ويتنصرون بالتنصورة السابقة)

النهاية

محمد عبد القادر بامطرف

المكلا ٢٦/ ٧/ ١٩٧٧م

قدمت فرقة سمعون للمسرحية هذه المسرحية في ٣٠/ ١٠/ ١٩٧٧م

على مسرح الشحر ثم المكلا بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال.

الهوامش

هوامش المقدمة والمشهد الأول:

(١) التبن: هو غلاف حبوب القمح بعد نزع الثمرة ويخلط بمعجون الطين عند صناعة اللبن لتكون أقوى، ولكن في الشحر يخلط المعجون بالمخلفات من الورق والأقمشة البالية ويدعى (بُغل).

(٢) سالم سعيد باعرام: شيخ طاعن في السن حائك ولم يعد أحد من هذه الأسرة بالشحر ، وعرفنا أن أصولهم في مدينة حريضة على مخرج وادي عمد، وإن أغلبهم يعمل بالذباحة وتشريك اللحم وبيعه، وقد عرفنا شاعر آخر منهم صديق للشاعر أبو بكر بن شهاب عندما كان يكتب قصائده العامية في حيدر أباد مذيلاً باسم مستعار هو (الفرزدق العصري).

(٣) حيدر أباد: مدينة في الهند وأخرى في الباكستان القسم الغربي، لهذا لابد أن يقال حيدر أباد الدكن لتمييزها عن المدينة الأخرى.

(٤) الدكن: حيدر أباد الدكن والمدينة تقع في جبال الدكن بالهند.

(٥) يجب أن لا يستهان بآل كثير: عبارة هامة للأمراء والجيش القعيطي.

(٦) يشيد: أي يبني.

(٧) فئات: أي جماعات.

(٨) المقلومين: مفردها مقلوم أي الجندي الذي ينخرط بسلك الجندية بمرتب شهري.

(٩) العصبية: انظر مقدمة ابن خلدون في التعريف بالعصبية.

(١٠) إحدى وثائق الحلف بين علي بن ناجي والعوابثة تؤكد أن على العوابثة أن يؤدوا صلاة الجمعة في جامع الشحر.

هوامش المشهد الثاني:

(١) الجمعدار: رتبة عسكرية تمنح لقائد ألفين من الجنود.

(٢) المقدم أحمد سالمين باحبارة: هناك رأي بأن الاسم ورد خطأ، فلم ألتفت إليه.

(٣) وصف كامل للجمعدار عوض بأنه طويل القامة متين الجسم.

(٤) من بطنه: عجيب هذا الأمر ويصعب تصوره.

(٥) حول رأسه: قطعة القماش لا تكون عمامة إلا إذا كورت على الرأس.

(٦) مثل شعبي (الرادي ولو تعريت) من العيب أن يراك الآخرون وأنت عاري الصدر دون الرداء.

(٧) أكثر من ثلاثة عيال متتابعين ميلاداً.

(٨) آل بريك حكموا الشحر ما بين (١١٦٥ ـ ١٢٨٣هـ) (١٧٥١ ـ ١٨٦٦م) انظر كتاب الأستاذ محمد بامطرف (في سبيل الحكم) وكتاب (إمارة آل بريك) لخالد حسن الجوهي.

هوامش المشهد الثالث:

(١) في المخطوط (وقد ازدادت الحالة سوءاً) وفي المطبوع (سوا).

(٢) أحمد عمر حمدة أحد الدلل وفي المطبوع (إحدى).

(٣) له ترجمة في معجم شعراء العامية الحضارم.

(٤) الرويلة: جنود أفغانيون جندهم القعيطي في حيدر أباد ينتمون إلى قبيلة (Rohilla) والحضارم ينطقون هذه التسمية رويلة.

(٥) محفوظ هنا هو المغني محفوظ باعكابة.

(٦) ابن جبران البطاطي: انظر ترجمته في كتابنا معجم شعراء العامية الحضارم، وانظر ما كتبنا عنه تحت عنوان (ابن جبران البطاطي شاعر القزة) العدد الأول من مجلة (آفاق التراث الشعبي) يناير ٢٠٠٧م ص ١٥٥.

(٧) في المطبوع (يدق).

(٨) في المطبوع كلمة لا تقرأ.

هوامش المشهد الرابع:

(١) في المخطوط سيد عوض.

(٢) نفسه مكرر.

(٣) سقطت من المخطوطة.

(٤) رمان ثوب هندي أحمر من القطن يكون من مصرين معاً، ويعرف عند الآخرين من أهل الشحر (رمال) المحقق.

(٥) في المخطوط (موالياً).

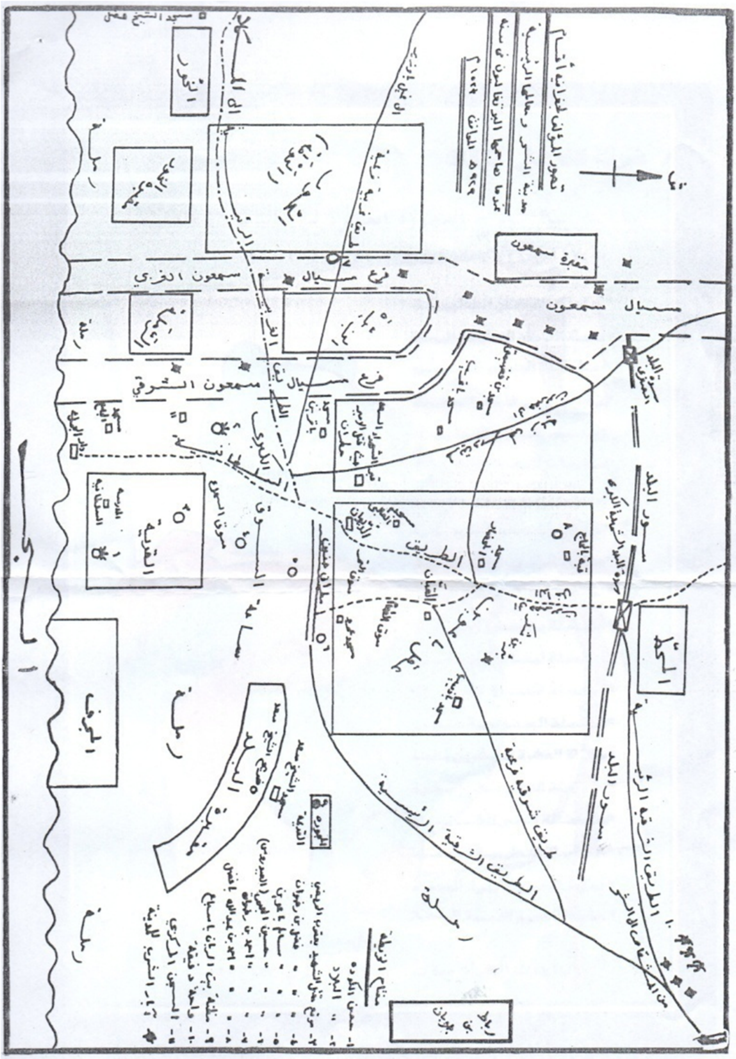
(٦) بن هرهرة: سالم بن علي بن هرهرة هذا قتله آل كثير في منطقة شحير واجتزوا رأسه، وكان على رأس فرقة من الجنود القعيطية، كان ذلك في شهر صفر سنة ١٢٩١هـ في حادثة ليس هذا مكانها، وقيل في سنة ١٢٩٣هـ. (المؤلف).

(٧) في المطبوع كل يافاع.

(٨) لأسباب بحثنا عنها ولم نتوصل إليها إلى اليوم ظل بيت حمدة في يد الدولة القعيطية، ثم تحول الآن إلى إدارة الإسكان ونرجو من المسئولين إعادة البيت إلى أربابه الأصليين فإن ورثة عمر حمدة على قيد الحياة وفي مقدمتهم سعد سالمين حمدة وآخرون. (المؤلف).

(٩) هذه من قوافي رقصة العدة (أصواتها) وهي للشاعر الملحن (أبو عابد) انظر ما كتبناه عنه تحت عنوان (أبو عابد ملحن قوافي العدة) نشر بصحيفة المسيلة المكلاوية العدد (٣٧٥) الصادر في ١١ سبتمبر ٢٠٠٤م (المحقق) .

❁❁❁


مقبرة سمعون
مسيال سمعون
فرع مسيال سمعون الشرقي
سور البلد



محمد عبد القادر بامطرف

- من مواليد مدينة الشحر يوم الجمعة ٢٥ يوليو ١٩١٥م .
- درس بمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بالشحر ودرّس بها .
- سافر إلى مصوع الأريتيرية بطلب من والده هناك وعاد سريعاً .
- درس بالمدرسة التبشيرية (ثانوية) بعدن .
- واصل دراساته بالعاصمة البريطانية لندن .
- عمل بعدة وظائف وطنية .
- في عام ١٩٣٩-١٩٤٩م عمل موظفاً بإدارة الاستشارية البريطانية بالمكلا .
- في عام ١٩٥٠-١٩٦٣م عمل بإدارة الحكومة القعيطية .
- في عام ١٩٦٣م تفرغ للتأليف حتى وفاته في ١ يوليو ١٩٨٨م .
- وضع ٢٣ كتاباً في التاريخ والتراث طبع منها خمسة عشر كتاباً .
- ألف ١٣ مسرحية منها مسرحيتنا هذه (سور الشحر) .
- كتب عدداً من الأبحاث والمقالات نشر أغلبها وسجل بصوته أخريات .
- وله ديوان شعر ومسرحية شعرية .